

معنى (لا إله إلا الله)
وتأصيل مسألة
(الحكم بغير ما أنزل الله)
للشيخ ياسر بن مسعود
(أبي عمار الحضرمي)
ضمن سلسلة: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" الرسالة الثانية

بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

ضمن سلسلة: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

الرسالة الثانية (٢)

معنى (لا إله إلا الله)

وتأصيل مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله)

بقلم

ياسر بن مسعود

(أبي عمار الحضرمي)

تقبله الله

بيت المقدس

الفهرس

مقدمة الناشر

الحمد لله، وبعد..

فبين أيدينا الرسالة الثانية من سلسلة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ بعنوان:

"معنى (لا إله إلا الله) وتأصيل مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله)".

كتبها الشيخ المجاهد: أبو عمار الحضرمي -رحمه الله-، لتقديم إحاطة وافية بمعنى كلمة التوحيد والعناية بواحدة من أبرز قضايا العصر الحديث، قضية الحاكمية، وذلك على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة.

وتولت "مؤسسة بيت المقدس" تنسيق الكتاب وضبط آياته ونصوصه، ونشره كإضافة مهمة للمكتبة الجهادية والإسلامية، سائلين الله عز وجل أن يكتب أجر كاتبه وينفع بجهده ويجزيه عن أمة الإسلام خير الجزاء.

هذا والحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم تسليما.

﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

إلى إخواني المجاهدين الموحدين المرابطين... إلى إخواني الموحدين المأسورين... إلى إخواني الموحدين في كل مكان... في أفغانستان... وفي باكستان... في القوقاز... وفي كشمير... في الشام... وفي مصر... في المغرب الإسلامي... وفي نيجيريا... في الصومال... وفي جزيرة العرب... وفي كل مكان... إلى كل من حمل السلاح وأعد العدة من أجل الجهاد... إلى كل من قاتل الكفار والمرتدين والمنافقين...

أنتم أمل الأمة - بعد الله عز وجل- أنتم الطائفة المنصورة-بإذن الله- فالثبات الثبات حتى الممات... ففي هذا الطريق ليس عندكم ما تخسرونه: أنتم بين إحدى الحسنيين: نصرٍ أو شهادة! فالمنيّة ولا الدنية...! ولضربة بسيف في عزّ... خير من ضربة سوط في ذل!

وإني أكتب إليكم هذه الـ(**الكلمات في التوحيد**) في كيفية تحقيق (لا إله إلا الله) في واقع الحياة وإزالة هؤلاء الطواغيت الجاثمين على صدور الأمة! مستندا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع وأقوال أهل العلم المعتبرين-الأولين منهم والآخرين- مؤملا من الله أن يكون **مرجعا مختصرا لإخواني الموحدين -علما وعملا ودعوة ومذاكرة ومناظرة**- لمعرفة أساس دينهم الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وليكونوا على بصيرة من دينهم وليردّوا على شبهات شياطين الإنس والجن الذين يصدون عن سبيل الله، وجعلته على شكل رسائل قرآنية؛ ليسهل فهمها ومذاكرتها... وإن كان هناك من جديد في هذه الرسالة فهو تدبر بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية على فهم الصحابة رضي الله عنهم وتنزيلها على واقعنا المعاصر وإن كان ذلك مخالفا للـ(أكابر) والـ(معظمين)! فالله أنزلَ الكتابَ ليُعملَ به في الواقعِ ويُنزّلَ عليهِ، ويُحكّم في أفعال الناس وأقوالهم، ويُستنار به فيما يحدثُ من أحداثٍ.

والبيانُ الَّذي أخذه الله على العلماءِ كما يشملُ الصدع بالحق والآياتِ والبيّناتِ، يشملُ تنزيلها على الواقع وبيان حكم الله فيها، وإلاّ فالآياتُ محفوظةٌ في القراطيس والصدور، والأحاديث مزبورةٌ في الصحاح والمسانيد، فما يفعل العالم وما الحاجة إليه، إن لم يصدع بحكم الله في واقعه ويبيّنْ ما أمر الله به وينزّله في مواضعِهِ؟!

فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منهما... نسأل الله الهداية والسداد... "اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، فاهدنا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".

وأما عن وصيتي لك أخي الحبيب ومن بطرفك من الأحباب، فإني أوجزها لكم في كلمات، وما أنا لكم فيها بغاش: (**عيشوا للدين، وموتوا للدين، وإياكم من موتٍ على الفراش!**) والله ولي التوفيق....

الرسالة الأولى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1]

قال القرطبي رحمه الله–في هذه الآية: "وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن".

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فنحن فيه، وجاء بك، فهل بعد هذا الخير من شر كما كان قبله؟ قال: "يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه (ثلاث مرات)" **رواه ابن حبان وصححه الألباني**.

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ" قال: "يتكلّمون به كما أنزل ولا يكتمونه".

وعن القاسم بن معوّف الشيباني قال: سمعت ابن عمر يقول: لقد لبثنا برهة من الدهر وأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، تنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما يتعلم أحدكم السورة، ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، يقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يعرف حلاله ولا حرامه ولا أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، وينثره نثر الدقل" **(الإيمان لابن منده)**.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في **(مفتاح دار السعادة)**: "وتعلّم القرآن وتعليمه يتناول: تعلم حروفه وتعليمها وتعلم معانيه وتعليمها وهو أشرف قسمي علمه وتعليمه، فإن المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فتعلّم المعنى وتعليمه تعلم الغاية وتعليمها، وتعلم اللفظ المجرد وتعليمه تعلم الوسائل وتعليمها، وبينهما كما بين الغايات والوسائل" أهـ.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما التأمل في القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر قال الله تعالى: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب" اهـ.

---

(1) [ص:٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾ [الزخرف: ٣]

وقال الحسن: "نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملا" فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع منه الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما وتتلّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتها وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه)اهـ. وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

والمثل مأخوذ من ماثل الشيء الشيء أي شابهه.. ويقال تماثل الشيئان أي تشابها.. إذن فالمثل يقتضي شبيهاً ونظيراً وهكذا كل أمثال القرآن الكريم فإن الله سبحانه وتعالى حكى لنا قصص الأولين وأحوالهم المكذبين منهم والمصدقين وجعل هذه القصص مثلاً لنا ننظر في أحوال المكذبين وطرق ضلالهم لنتجنبها ونعرف عاقبة تكذيبهم لنحذرها وننظر في أحوال المصدقين وطرق فلاحهم لنسلكها وعاقبة إيمانهم لنطلبها.. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النور: ٣٤] وقال ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣)﴾ [محمد: ٣] أي أحوالهم بخسران الكافرين وفوز المؤمنين... هذه الأمثال سواء كانت بلفظ المثل أو بقص القصص أو غيره كل مثل منها يستوعب عدداً من الأحداث والأعمال والأحوال الكائنة إلى يوم القيامة.. يستوعب من ذلك عدداً لا يحصيه إلا الله تعالى فما من شئ يطرأ في حياة الناس ويحدث لهم في أمر دينهم إلا وضُرب مثله في القرآن.. ولكن لا يعقل هذا ولا يفهمه ولا يُفطن إليه إلا العالمون.

قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ [العنكبوت: ٤٣] فالعالمون هم الذين يفقهون معاني القرآن ويفطنون لإشاراته الدقيقة ثم يعبرون بذلك الزمان والمكان الذين حدثت فيه القصة

وضرب فيه المثل.. إلى المكان والزمان الذين يعيشون فيه فينزلون الآيات القرآنية على الواقع وهذا هو معنى العبرة..

قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] وبهذا يصير القرآن حياً في حياة الناس ونوراً يستبصرون في سيرهم إلى ربهم فيخرجون من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد..

أما إذا لم تحصل العبرة بقصص القرآن وأمثاله ويصير القرآن مجرد كلمات تُتلى وآي تقرأ لا علاقة لها بحياة الناس وأحوالهم كما هو الحال في زماننا هذا فإننا نرى من يختم القرآن ويقرأه مراراً وتكراراً لكنها مجرد قراءة وتلاوة عارية عن التدبر والتفهم وبعيدة عن الدراسة والتعلم كحال بنى إسرائيل الذين حكى الله صفاتهم في سورة البقرة وأن حظهم من الكتاب مجرد التلاوة فقط ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨)﴾ [البقرة: ٧٨]

ومن سبل تدبر القرآن وفهمه: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم؛ فإن من كمال حفظ الله عز وجل لهذا الذكر الحكيم أن قيض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فألفوا في ذلك كتبا بسطوا فيها ألفاظ القرآن، وأبانوا ما يعسر فهمه، وفصلوا ما جاء فيه من القواعد والكليات، ودفعوا التعارضات المتوهمة، وبينوا مراجع الضمائر، وعينوا المعاني المرادة إذا احتمل الكلام أوجها متعددة، قال السعدي رحمه الله: "وقال تعالى: " إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " فأنزله بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار. فلله الحمد والشكر والثناء، الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونورا، وتبصرة وتذكرة، وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين.

فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها. وكان حقيقا بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه (أي القرآن) وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك... فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقا ومفهوما، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه".

قال ابن تيمية رحمه الله: "من تدبر القرآن طالبا الهدى منه تبين له طريق الحق".

وقال القرطبي رحمه الله: "فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يجب، وجعل في قلبه نورا".

وقال ابن القيم رحمه الله في (الجواب الكافي): "وما أوتي أحد – بعد الإيمان – أفضل من الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

وقال رحمه الله في (مفتاح دار السعادة): "كما قال بعض السلف وقد ذكر السابقين فقال إنما كانوا يعملون على البصائر وما أوتي احد أفضل من بصيرة في دين الله ولو قصر في العمل.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)﴾ [ص: ٤٥].

قال ابن عباس: "أولي القوة في طاعة الله والإبصار في المعرفة في أمر الله".

وقال قتادة ومجاهد: "أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين" وأعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصرا في العمل وتحت كل من هذه الأقسام أنواع لا يحصى مقادير تفاوتها إلا الله" انتهى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى"".

وإن من أهم دواعي اكتساب الفقه والعلم، وأهم أسباب تنزُّل الهداية والتوفيق؛ تقوى الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونصرة توحيده، كما قال تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله".. وقال: "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا" وقال سبحانه: "وإن تطيعوه تهتدوا" وقال تبارك وتعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا".

وإذا أردنا الحق والنصر والهداية في الدنيا والآخرة فيجب عرض عقائدنا ومناهجنا وحياتنا على هدى الله (كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) فالحق ليس بمعدوم، بل هو موجود ولكنه مفقود عند كثير من الناس بسبب القصور أو التقصير أو كليهما، وإلا فمن بحث عنه وطلبه وصلحت نيته، وحسن قصده وجده، فمن استبان له الحق لزمه ولم يتعداه إلى غيره، فالحق هو الضالة المنشودة، والدرة المفقودة، فمتى ظفر بها المنصف استوثق منها وعض عليها بالنواجذ وثنا عليها الخناصر والبناصر، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

وقد تكفل الله بنفسه أن يبين لنا ويهدينا السبيل الذي يريده ويرضيه عنا في الدنيا والآخرة بأبلغ حجة وأقوى بيان، فقال سبحانه: "إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى"(١٢) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]

" قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (١٦) المائدة.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

فما أرحمك ربنا بنا وأنت الغني عنا! ولا شك أن تلاوة كتاب الله عز وجل، بقراءته وتدبره وتعلمه والتمسك به واتباع أوامره من أعظم أسباب الثبات على هذه الطريق الشاق كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)﴾ [المزمل: ٥].

ويلتحق بذلك دوام ذكر الله عز وجل ومراقبته وقيام الليل.. كما قال تعالى بعد الآية المتقدمة مباشرة: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)﴾ [المزمل: ٦].

وأيضا كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)﴾ [الإنسان: ٢٤].

وقال تعالى بعد الآية المتقدمة مباشرة: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦].

ويكون فهمنا لذلك على فهم وحياة الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم هم الذين شهد لهم الله جل جلاله بالهداية والرضى، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾ [الفتح: ١٨].

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧)﴾ [التوبة: ١١٧].

ولا يكفي تقليدنا لآبائنا وعلمائنا ومجتمعاتنا؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء" **رواه مسلم**.

قال السندي في (**حاشية ابن ماجه**): "(غريبا) أي لقلة أهله، وأصل الغريب البعيد من الوطن "وسيعود غريبا" بقلة من يقوم به ويعين عليه وإن كان أهله كثيرا "فطوبى للغرباء" القائمين بأمره، و"طوبى" تفسر بالجنة وبشجرة عظيمة فيها. وفيه تنبيه على أن نصرة الإسلام والقيام بأمره يصير محتاجا إلى التغرب عن الأوطان والصبر على مشاق الغربة كما كان في أول الأمر" اه.

ونقل النووي في (**شرح صحيح مسلم**) عن القاضي عياض أنه قال في معنى الحديث: "أن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال، حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ" اه.

وقال صلى الله عليه وسلم: " وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال: " ما أنا عليه وأصحابي" **رواه الترمذي وحسنه والألباني**.

إضاءة: في مقام دعوة الناس ومخاطتهم: لا بد أن تفهم أن نفوس الخلق دقيقة الميزان تبهجها كلمة مارة، أو خفقة حانية، أو وجه بشوش يلاقيه، وتزعجها كلمة جافة أو إعراض وجه مهموم أو التفاتة خد بعيداً عند اللقاء، فهكذا الإنسان لا يباع قلبه ولا يتأثر بالجبال ولا بالقيود ولا بالأسوار، لكنه يأنف القياد ويوطئ الجناح للكلمة الحسنة والبسمة المشرقة والهدية مهما كان شأنها، فلا تحقرن شيئاً من هذا.. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حبيب القلوب، يفديه صحبه بأرواحهم، وهو أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ومع ذلك يراعي خواطر أصحابه حتى ما يؤذيهم بشيء، بل يتودد لصغيرهم سائلاً إياه عن طائره اللاعب به"يا أبا عمير، ما فعل النغير؟!" رقة تذوب لها الجبال، ويتودد لكبيرهم حتى يعرفوا ذلك منه أنه رقيق رفيق ليس بجبار، فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما أن أباه مخرمة قال له: يا بني إنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

قدمت عليه أقبية فهو يقسمها فاذهب بنا إليه، فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله: فقال لي يا بني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم! فأعظمت ذلك فقلت أدعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: يا بني إنه ليس بجبار! فدعوته فخرج، وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال: "يا مخرمة هذا خبأناه لك فأعطاه إياه، قال فنظر إليه فقال صلى الله عليه وسلم: "رضي مخرمة" **متفق عليه**.

الرسالة الثانية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٢]

يقول شيخ المفسّرين الإمام الطبري رحمه الله في (**تفسيره ٣/٢١١**) لبيان حقيقة فهم هذا الدين العظيم: "وكذلك الإسلام، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع، والفعل منه أسلم، بمعنى: دخل في السلم، كما يقال: أقحط القوم: إذا دخلوا في القحط، وأربعوا: إذا دخلوا في الربيع، فكذلك أسلموا: إذا دخلوا في السلم، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: "إن الدين عند الله الإسلام" إن الطاعة لله التي هي الطاعة له عنده الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية" اه.

*(**الإيمان**) **عند أهل السنة والجماعة**: قول وعمل واعتقاد، (وهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة).

(الباطنة): كأعمال القلب، وهي تصديق القلب وإقراره.

(الظاهرة): أفعال البدن من الواجبات والمندوبات.

قال الشافعي رحمه الله في كتابه (**الأم**): "كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزي واحد من الثلاث إلا بالآخر" اهـ.

(أركان الإيمان): يتلخص في التصديق بأركانه الستة، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل – عليه السلام – لما جاء يسأله عن الإيمان؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره" **متفق عليه**.

---

(٢) [آل عمران:١٩].

(شعب الإيمان): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » **متفق عليه**.

(مراتب الإيمان) عند أهل السنة والجماعة:

المرتبة الأولى: (أصل الإيمان): ويسمى أيضاً (الإيمان المجمل) أو (مطلق الإيمان): وهو التصديق الجازم والإقرار الكامل والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه – جل وعلا –وهذه المرتبة من الإيمان غير قابلة للنقصان؛ لأنها حد الإسلام، والفاصل بين الإيمان والكفر، وهذا النوع واجب على كل من دخل دائرة الإيمان، وشرط في صحته، وبه تثبت الأحكام الشرعية، وصاحب هذه المرتبة يدخل في دائرة (الإسلام) أو (الإيمان المقيد) وكذلك يدخل فيه من أسلم من أهل الطاعة ممن لم تدخل حقائق الإيمان في قلوبهم، والقوادح في (الإيمان):

١- أهل الكبائر عموماً، ويسمى صاحبه: (مؤمنا ناقص الإيمان) أو (فاسقاً) أو (عاصياً)وإن مات مصرا عليها فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ثم يكون مصيره إلى الجنة.٢- مرتكب الكفر والشرك، وهو(كافر مرتد) في الدنيا والآخرة لو مات وهو مصر عليها، وأما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾ [النساء: ٤٨].

فترك سائر الذنوب (غير الشرك) هو شرط لكمال (الإيمان الواجب) وأما ترك الشرك وأنواع الكفر فهو شرط صحة لا يتحقق الإيمان إلا به، ورحم الله الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في **(مصباح الظلام) ص (٣٢٨)**: "فمن جعل الإسلام هو الإتيان بأحد المباني فقط، مع ترك التزام توحيد الله والبراءة من الشرك فهو أجهل الناس وأضلهم" اهـ.

المرتبة الثانية: (الإيمان الواجب): ويسمى أيضاً (الإيمان المفصل) أو (الإيمان المطلق) أو (حقيقة الإيمان) ويكون صاحبها ممن يؤدي الواجبات ويتجنب الكبائر والمنكرات، ويلتزم بكل تفصيلات الشريعة؛ تصديقاً والتزاماً وعملاً، ظاهراً وباطناً؛ حسب استطاعته، وبقدر ما يزيد علمه وعمله يزداد إيمانه، فإن شرائع الإسلام هي

شعب الإيمان، من ترك واجباً من الواجبات خرج من الإيمان مع بقاء حكم الإسلام عليه. وإن أتى العبد بناقض من نواقض الإسلام لم تنفعه بقية الشعب إن وجدت.

وإذا ارتكب بعض الصغائر يكفر عنه باجتنابه للكبائر ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾ [النساء: ٣١].

وعن أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال « الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » **رواه مسلم**.

وصاحب هذه المرتبة؛ موعود بالجنة بلا عذاب؛ وينجو من الدخول في النار؛ إن مات على ذلك.

المرتبة الثالثة: (الإيمان المستحب): ويسمى أيضاً (الإيمان الكامل). وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة (الإيمان الواجب) وهي مرتبة (الإحسان) وصاحبها لا يكتفي بعمل الواجبات وترك المنكرات بل يضيف إلى ذلك فعل المستحبات واجتناب المكروهات والمشتبهات؛ بقدر ما ييسر الله تعالى له ذلك. نسأل الله من فضله.

***فالإسلام والإيمان: هو الاستسلام لله ويكون ذلك: بـ(تصديق الخبر وامتثال الأمر).**

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن الإسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد والخضوع (عمل القلب والجوارح) فمن ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، والإيمان طمأنينة ويقين، أصله علم وتصديق ومعرفة، والدين تابع له – أي الإسلام–" اهـ. الإيمان:٣٦١.

فلا يثبت إذن عقد الإسلام بمجرّد التصديق بالأحكام الشرعيّة بل لابدّ لثبوته من التزامها جملة، فمن زعم التّصديق بالإسلام ووقف من شرائعه موقف الردّ أو الإباء أو الترك أو الاعتراض فإنه لا يثبت له عقد الإسلام حتى يعقد قلبه على مجموع الأمرين: تصديق خبره صلى الله عليه وسلم جملة، والتزام هديه صلى الله عليه وسلم جملة.

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله: "الإيمان أن تؤمن بالله: فأن توحّده وتصدّق به بالقلب واللسان، وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر، مجانباً للاستنكاف والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك، لزمت محابه واجتنبت مساخطه، وإيمانك بمحمد: إقرارك به وتصديقك إيَّاه واتِّباعك ما جاء به، فإذا اتَّبعت ما جاء

به، أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرَّمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات" **الإيمان لابن تيمية ٢٩٧، ٢٩٦**.

ويقول القسطلاني رحمه الله في (**إرشاد الساري**): "فليس حقيقة التَّصديق أن يقع في القلب نسبة التصديق إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول لذلك، بحيث يقع عليه اسم التسليم".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرَّد التَّصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التَّصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد، تصديق الرَّسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به، والعبادة له، والكفر هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض، فمن لم يحصل في قلبه التّصديق والانقياد فهو كافر" **الإيمانُ الأوسط لابن تيمية ١٨١، ١٨٠**.

ولقد كان من أخطر الآفات–الّتي مُنِيَ بها الفكر الإسلامي في عصور الانحطاط–شيوع القول المخالف لعقيدة أهل السُنَّة في باب الإيمان بِقَصْرِ الإيمان على مجرد التصديق الخبري الَّذي لا ينقضه إلا تكذيب اللسان فحسب.

ولهذا عربد المعربدون من الطواغيت ومن شايعهم، وأجهزوا على شريعة الإسلام وولغوا في دماء أبنائه وهم لا يزالون عند أنفسهم، وفي حِسِّ كثير من شعوبهم مسلمين! لأنهم لم يعلنوا بألسنتهم التكذيب بالتوحيد والرّسالة!!! ولو كان الإيمان هو مجرد التصديق ما كان هناك وجهٌ لتكفير أبي طالب وهو القائل:

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير   أديان البرية دينا

بل هو الّذي عاش طيلة عمره يدفع عن رسول اللهصلى الله عليه وسلم ويحوطه، بل وتحمّل معه في الشِّعب أقصى ما تحمّله المؤمنون الصادقون، ولكنه مع ذلك أبى الانقياد للإسلام فمات يوم مات كافراً بالله العظيم!! وعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لأستغفرنّ لك مالم أنهَ عنك" أنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾ [التوبة: ١١٣].

وقد صح أنه أهونُ أهل النار عذاباً يقف على جمرتين من نار تغلي منهما عروق رأسه، وهو يظنُّ أنه أشدُّ أهلها عذاباً!

ولو كان الإيمان مجرد التصديق ما كان هناك وجه لتكفير علماء أهل الكتاب بعد أن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ [البقرة: ١٤٦].

بل لو كان الإيمان مجرد التصديق ما كان هناك وجه لتكفير أهل مكة وقد قال الله فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾ [الأنعام: ٣٣].

بل لما كان هناك وجه لتكفير إبليس، فإنه لم يقع منه تكذيب، لأنّ الله –تعالى– قد باشره بالخطاب ولم يرسل إليه رسولاً يأمره بالسجود، ولكنه أبى واستكبر وكان من الكافرين واستحقّ على ذلك لعنة الخلد ونار الأبد.

* عقيدة أهل السنة والجماعة: (الإيمان يكون بالاعتقاد والقول والعمل) وقد أجمعوا أيضا على: (أنَّ الكفرَ يكون بالقولِ أو الفعلِ أو الاعتقاد).

قال الشيخ عبدالله أبابطين في (**مجموعة الرسائل والمسائل١/٦٥٩**): "والمرتدُّ هو الذي يكفر بعدَ إسلامه بكلامٍ أو اعتقادٍ أو فعلٍ أو شكٍّ وهو قبل ذلك يتلفَّظ بالشَّهادتين ويصلي ويصوم، فإذا أتى بشيءٍ مما ذكروه صار مرتدًّاً مع كونه يتكلَّم بالشَّهادتين ويصلي ويصوم ولا يمنعه تكلُّمه بالشَّهادتين وصلاته وصومه عن الحكم عليه بالرِّدَّة، وهذا ظاهرٌ بالأدلَّة من الكتابِ والسُّنَّة والإجماع" اهـ.

وبالجملة فكل من قال أو فعل ما هو كفر صريح؛ كفر– ما لم يمنع من ذلك مانع من الإكراه أو التأويل أو الخطأ كسبق اللسان أو الجهل المعتبر– والأدلة من الكتاب والسنة صريحة في كفر من أتى بمكفر وذلك بمجرد القول أو الفعل دون ربط ذلك بالجحود أو الاستحلال... فإن هذا فاسد لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة المعروفين بالسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]
ومناط الكفر هو مجرد القول الذي تكلموا به.

وهذا ردا على من يزعم أنَّه لا يكفُر إلاَّ من اعتقد الكفر، أمَّا من تلفَّظ به أو عمل ما هو كفرٌ صراحةً فلا يكفر؛ إذ الكفر هو الاعتقاد فقط.

وهذا هو مذهب المرجئة المذموم، ثم اختلف المرجئة: في (من قال أو فعل ما ورد النص بكفر فاعله):

(١) فقالت الأشاعرة ومرجئة الفقهاء: (هو كافر ظاهراً وباطناً ولكن ليس بنفس القول أو الفعل، ولكن لأن القول أو الفعل المكفِّر أمارة على أنه مكذِّبٌ بقلبه).

وقد انتقد ابن تيمية رحمه الله هذا القول فقال: "وهذا موضع لابد من تحريره، ويجب أن يُعلم أن القول بأن كُفْر السابّ في نفس الأمر إنما هو لاستحلاله السبّ زلةُ منكرة وهفوة عظيمة.. ثم قال: وإنما وقع من وقع في هذه المهْوَاة بما تلقوه من كلام طائفة من متأخري المتكلمين وهم الجهمية الإناث الذين ذهبوا مذهب الجهمية الأولى في أن الإيمان هو مجرد التصديق الذي في القلب" **الصارم المسلول:٥١٥**.

(٢) وقالت الجهمية **(غلاة المرجئة)**: "هو كافر في الظاهر لورود النص بكفره، ويجوز أن يكون مؤمنا في الباطن إذا كان تصديقه مازال قائما".

وهؤلاء كفرهم السلف لردهم النص الشرعي الحاكم بكفر قائل الكفر أو فاعله؛ لأن النص الشرعي الذي هو خبر الله تعالى لا يكون إلا على الحقيقة لا الظاهر فقط، وترتب على هذه العقيدة الفاسدة أنهم:

(أ) **لا يكفرون هذا إلا أن يجحد أو يستحل ويصرح بذلك**.

وهؤلاء كفّرهم السلف لردهم النص الشرعي القاضي بكفر من أتى بالقول أو الفعل المكفِّر.

والفرق بين قول هؤلاء الغلاة وبين قول الأشاعرة أن الأشاعرة جعلوا الجحد لازماً للكفر أما الغلاة فجعلوا الجحد شرطاً مستقلاً للحكم بالكفر. فعند الأشاعرة كل من حكم الشارع بكفره فلابد أن يكون جاحداً، وعند الغلاة كل من حكم الشارع بكفره يشترطون تصريحه بالجحد لإيقاع الحكم عليه.

ولم يختلف السلف في كفر أصحاب هذه المقالة من غلاة المرجئة كما قال ابن تيمية رحمه الله**:** "وقال حنبل: حدثنا الحُميدي قال: وأُخبرت أن ناسا يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن مالم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مُقراً بالفرائض واستقبال القبلة.

فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين قال الله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله وردّ على أمره وعلى الرسول ماجاء به عن الله" اهـ.

ونقل ابن تيمية تكفيرهم عن طائفة أخرى من علماء السلف في **(مجموع الفتاوى) ٧/ ٢٠٥.**

(ب) كل من نص الشارع على كفره لإتيانه بقول أو فعل مكفر، فلابد أن نحكم بكفره في أحكام الدنيا، أي أنه كافر في الظاهر، ويجوز أن يكون مؤمناً في الباطن إذا كان مصدقاً بقلبه، وإنما جعلت الأقوال المكفرة أمارة على الكفر لتثبت بها أحكام الكفار على فاعلها في الظاهر.

وهذا قول فاسد؛ لأن من حكم الله بكفره بقولٍ أو فعل فهو كافر ظاهراً وباطناً، معذبٌ في الآخرة؛ لأن خبر الله لا يكون إلا على الحقيقة لا على الظاهر فقط.

ولهذا فقد كفَّر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم أصحاب هذه المقالة لأنها تكذيب بخبر الله تعالى بأن هذا كافر ظاهراً وباطنا وهم يقولون يجوز أن يكون مؤمنا في الباطن" انظر (مجموع فتاوى ابن تيمية) ج ٧، ص ١٨٨ - ١٨٩ و٤٠١ - ٤٠٣ و٥٥٨).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إن من تكلم بالتكذيب والجحد وسائر أنواع الكفر من غير إكراه على ذلك فإنه يجوز أن يكون مع ذلك في نفس الأمر مؤمنا، ومن جوّز هذا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" **(الصارم المسلول) ص ٥٢٣.**

وقال في موضع آخر: "فإن قيل لا يكونون كفاراً فهو خلاف نص القرآن" **(الصارم المسلول) ص ٥١٧.**

وللجهمية قول آخر في هذا مثل قول الأشاعرة ومرجئة الفقهاء.

***ما هو الحد الأدنى لكي نحكم على شخص بأنه مسلم؟**

قبل أن نجيب على هذا السؤال، نحب أن نذكّر بقاعدة أجمع عليها أهل العلم: يقول الإمام الأصولي محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "إن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف، لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما" وهذا من تقدير واحترام كلام الله ورسوله؛ فإنه ما قدر الله حق قدره من أبطل كلاماً لله ورسوله يمكنه إعماله، فمثلا: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ناد في الناس من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة" **رواه ابن حبان وصححه الألباني.**

فبعضهم يفهم: أن من ينطق – مجرد النطق – بشهادة أن لا إله إلا الله أن ذلك كاف لدخوله الجنة والحكم عليه بالإيمان مهما كان منه من عمل!

فنقول: لا تغمضوا العين عن نصوص وتفتحوها على نصوص– بحسب ما تهوى أنفسكم– ففي هذه الحالة يتعين عليكم النظر في الأحاديث الأخرى التي تبين المراد " قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) النساء.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم –أيضا–: " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله" **رواه مسلم**.

وعليه فإننا نقول: من شهد أن (لا إله إلا الله) على الوجه الذي فسره النبي ﷺ وهو إفراد الله بالعبادة والكفر بكل ما يعبد دونه، فإنه قد وفى بالمطلوب وقام بالواجب، وشهادته بهذه الصورة تنفعه وتنجيه، وما سوى ذلك فهو مردود على قائله – أيا كان – لا قيمة له ولا وزن لمخالفته لتفسير وقول النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه: **(زاد المعاد في هدى خير العباد)**: "ومن تأمل في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام.. علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس مجرد المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا" اهـ.

وأبو بكر رضي الله عنه لما حارب المرتدين فهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد مجرد اللفظ بقول (لا إله إلا الله) باللسان فحسب دون التزام بمعناها وأحكامها.

***دلت الأدلة الشرعية أنه لا يحكم لأي شخص بالإسلام ولا تنفعه (لا إله إلا الله) إلا باجتماع ثلاثة أمور – وهو الحد الأدنى للإسلام–:**

١– قول لا إله إلا الله.

٢–اجتناب الطاغوت والشرك.

٣– إقام الصلاة.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا (اجتناب الشرك) وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (اجتناب الطاغوت) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه المقابلة بين المسلمين ومن يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، تقرر بوضوح حاسم من هم المسلمون، المسلمون هم الذين يعبدون الله وحده، ويتعبدون لله وحده، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، هذه من خصيصتهم من سائر الملل والنحل، وتميز منهج حياتهم من مناهج حياة البشر جميعا، وإما أن تتحقق هذه الخصيصة، فهم مسلمون، وإما ألا تتحقق فما هم بمسلمين مهما ادعوا أنهم مسلمون....

وفي قوله: " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" إظهار البراءة من الكفار وكفرهم، وزجر عن الدخول في طاعتهم، وإشعار بوجوب التميز عنهم، والاعتزاز بالإسلام، والاعتداد به قولاً وفعلاً. (**انظر الدرر السنية (٧/ ٨**).

وقال رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »رواه مسلم.

قال ابن تيمية رحمه الله في (**الفتاوى)٦٠٩/٧**: "الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها" ا- هـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: "أجمع العلماء سلفًا وخلفًا، من الصحابة والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة، والقدرة وإخلاص الأعمال كلها لله، كما في حديث معاذ الذي في **الصحيحين**: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»".

وفي **صحيح مسلم**: قال صلى الله عليه وسلم: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

وقال صلى الله عليه وسلم: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر "**رواه الخمسة وصححه الألباني**.

وقال رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا (الأمر الثاني) ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله (الأمر الأول) فيعرفونهم في النار بأثر السجود (الأمر الثالث) تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا..." **متفق عليه**.

الرسالة الثالثة: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٣]

قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

قال مجاهد رحمه الله: "لا إله إلا الله".

قال ابن عيينة رحمه الله: "ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم لا إله إلا الله".

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله".

فما هي فضائل (لا إله إلا الله)؟ وما هي أهميتها؟

الجواب:

١- هي (النعمة الظاهرة والباطنة).

---

(٣) [لقمان:٢٠].

٢- صاحبها (صاحب القلب السليم)، قال الله تعالى: " وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) الصافات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يعني شهادة أن لاإله إلا الله".

٣- وهي (العروة الوثقى): ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قاله سعيد بن جبير والضحاك رضي الله عنهما.

٤- وهي (العهد) الذي ذكره الله عز وجل إذ يقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧)﴾ [مريم: ٨٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة إلا بالله، ولا يرجو إلا الله عز وجل".

٥- وهي (الحسنى) التي ذكرها الله في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾ [الليل: ٥-٧].

قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

٦- وهي (كلمة الحق) كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال مجاهد: "كلمة الإخلاص".

٧- وهي (كلمة التقوى) التي ذكرها الله في قوله: "وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا"(الفتح:٢٦).

قال ابن عباس وقتادة: "لا إله إلا الله".

٨-وهي (القول الثابت)، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال طاووس: "قول لا إله إلا الله".

٩-وهي (الكلمة الطيبة) المضروبة مثلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)﴾ [إبراهيم: ٢٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (شهادة أن لا إله إلا الله إلا الله).

١٠- أنها سبب مانع للخلود في النار لمن استحق دخولها؛ كما في حديث الشفاعة: "أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" **رواه البخاري ومسلم**.

فأهل لا إله إلا الله وإن دخلوها بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها كما في الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذَرَّة من خيرا".

١١- أن من قالها يبتغي بذلك وجه الله فإن الله يحرمه على النار، كما في حديث عتبان رضي الله عنه **المتفق عليه** قال صلى الله عليه وسلم: "فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله".

١٢-وهي (أول واجب على المكلف): قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله" **متفق عليه**.

١٣-وهي التي لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥].

١٤- وهي (أفضل الحسنات): قال أبو ذر رضي الله عنه: قلت يا رسول الله: علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال: "إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها" قال: قلت يا رسول الله: أَمِنَ الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: " هي أفضل الحسنات" **رواه أحمد وحسنه الألباني**.

١٥-وهي (أفضل ما ذكر الله به عز وجل): كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" **رواه مالك والطبراني وحسنه الألباني**.

١٦-وهي (أثقل شيء في الميزان): عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: "آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت

في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله" **رواه أحمد وصححه الألباني**.

١٧ــوهي (كلمة الخلاص) التي تطيش بسجلات الذنوب وترجح بصحائفها وتثقل الميزان، كما في حديث صاحب البطاقة: قال رسول الله: "إن الله سيخلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيَحْشُرُ عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجلٍ مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقول: أَفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً؛ فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظْلم. قال: فتوضع السجلات في كفةٍ، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء" **رواه الترمذي** وصححه.

قال ابن القيم رحمه الله: "الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض، قال: وتأمل حديث البطاقة، ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة والكثير منهم يدخل النار بذنوبه، بل اليهود، أكثر من يقولها، والذي يقولها ويخالفها أعظم كفرا ممن يجحدها أصلا، فإن الكافر الأصلي أهون كفرا من المرتد".

١٨-وهي (أعلى شعب الإيمان): وذلك لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله" متفق عليه.

١٩-أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ-أو فيسبغ-الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدالله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" رواه مسلم.

٢٠- وهي التي يكون السؤال عنها يوم القيامة: قال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] (الحجر:٩٢، ٩٣) ذكره البخاري في صحيحه.

٢١-وهي (الصدق): كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] (الزمر:٣٣).

قال ابن عباس في: "قوله "والذي جاء بالصدق" يعني بلا إله إلا الله "وصدق به" يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم "أولئك هم المتقون" يعني اتقوا الشرك".

٢٢- السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما، ولذا لما كان يونس عليه السلام في بطن الحوت ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧] (الأنبياء:٨٧) فاستجاب الله له وفرج كربته.

٢٣-أن أسعد الناس بشفاعة محمد الله صلى الله عليه وسلم من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه".

٢٤-وهي سبب استغفار المؤمنين: قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

فكل مؤمن يستغفر للمؤمنين ينالك أيها الموحد نصيب من بركة ذلك الاستغفار.

٢٥ -وهي كلمة (الإحسان): قال تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)﴾ [الرحمن: ٦٠] عن عكرمة رحمه الله: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" قال: "هل جزاء من قال: لا إله إلا الله إلا الجنة".

٢٦-وهي (دعوة الحق): قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هي لا إله إلا الله".

٢٧-وهي (كلمة العدل): التي قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن عباس: "العدل: شهادة أن لا إله إلا الله".

٢٨-وهي (كلمة الله العليا): قال تعالى ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فكلمة الله عليا على الدوام؛ ولهذا لم يعطفها على ما قبلها.

٢٩-وهي (القول السديد): كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب: ٧٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله "وقولوا قولا سديدا" قال: قولوا لا إله إلا الله".

٣٠-وهي سبب لعصمة الدماء والأموال: قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام" متفق عليه.

٣١-وهي أول شيء يدعى إليه: كما في حديث معاذ رضي الله عنه عندما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" متفق عليه.

٣٢- وهي (الزكاة): قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)﴾ [فصلت: ٦-٧].

قال ابن القيم رحمه الله في (إغاثة اللهفان): "قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم هي التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب؛ فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه وهو أصل كل زكاء ونماء".

الرسالة الرابعة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٤]

وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة" **رواه مسلم**.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: المسألة الأولى: العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. المسألة الثانية: العمل به. المسألة الثالثة: الدعوة إليه. المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

---

(٤) [محمد:١٩].

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم. وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب: العلم قبل القول والعمل؛ والدليل قوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) [محمد:١٩]، فبدأ بالعلم (قبل القول والعمل))اه.

وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في **"تيسير العزيز الحميد"**: "أن النطق بها – أي الشهادة – من غير معرفة معناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع" اهـ.

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسيره: "العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به –وهو العلم بتوحيد الله– فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية" اهـ.

يقول ابن القيم رحمه الله: "التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيء يخدشه ويدسنه ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جداً أدنى شيء يؤثر فيها، ولهذا تشوشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية، فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعاً يتعسَّر عليه قلعه".

ويقرر ابن القيّم أن من قوي توحيده فحقق معنى (لا إله إلا الله) فإنه يخلص من الشهوات والشبهات، فيقول: "كلما عظم نور هذه الكلمة– لا إله إلا الله – واشتدّ أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معه شبهة ولا شهوة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئاً، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد

حُرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرَّة وغفلة لابد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سُرق منه استنقذه من سارقه، أو حصَّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبداً مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولَّى الباب ظهره".

***فما معنى (لا إله إلا الله) التي لها هذه الأهمية والفضائل في الدنيا والآخرة؟**

أهي مجرد كلمة تقال فقط؟ هل يكفي أن نطوف حول العالم وندع الناس إلى قولها فقط ثم نتركهم بدون أن يعرفوا معناها ويعملوا بمقتضاها ويتركوا نواقضها؟!

إذن الدعوة إلى الله والإسلام أمر يسير وهين!! وماذا كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ويربي الصحابة رضي الله عنهم في مكة خلال ثلاثة عشر عاما؟ مع أنه لم تفرض الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الجهاد...؟!!

كان يدعوهم صلى الله عليه وسلم إلى قضية واحدة لا تتغير-يبدئ فيها ويعيد- وهي القضية الكبرى" يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" **رواه أحمد وصححه الألباني**.

من الضروريات التي يجب على طالب الحق أن يهتم بها: أنه لابد أن يدرس القرآن الكريم ويسبر غور معانيه وأن يتفهم المعاني الصحيحة التي يريدها الله، فإذا كان الإنسان لا يعرف ما الإله؟ وما معنى الرب؟ وما هي العبادة؟ وما هو الدين؟ وما هو الطاغوت؟ وما هو الشرك؟ وما هو الكفر؟ وما هي الأنداد؟ فلا جرم أن القرآن العظيم كله سيعود في نظره كلاماً مهملاً لا يفهم من معانيه شيء! فلا يقدر أن يعرف حقيقة التوحيد، أو يتفطن إلى ماهية الشرك، ولا يستطيع أن يخص عبادته بالله سبحانه أو يخلص دينه له، ولن يفهم معنى (لا إله إلا الله) وكذلك إذا كان مفهوم تلك المصطلحات غامضاً متشابهاً في ذهن الرجل وكانت معرفته بمعانيها ناقصة فلا شك أنه يلتبس عليه كل ما جاء به القرآن من الهدى والإرشاد، وتبقى عقيدته وأعماله كلها ناقصة مع كونه مؤمناً بالقرآن.

فإنه لن ينفك يلهج بكلمة (لا إله إلا الله) ويتخذ مع ذلك آلهة متعددة من دون الله! ولن يبرح يعلن أنه لا رب إلا الله ثم يكون مطيعاً لأرباب من دون الله في واقع الأمر!

وهذا يدلنا أن عصر الجاهلية وما تبعه من عصور الإسلام أنه لما نزل القرآن في العرب وعرض على الناطقين بالضاد كان حينئذ يعرف كل امرئٍ منهم ما (الإله)؟ وما معنى (الرب)؟ وما هي (العبادة)؟ وما هو (الدين)؟ وما هو (الطاغوت)؟ وما هو (الشرك)؟ وما هو (الكفر)؟ وماهي (الأنداد)؟ ومن ثم إذا قيل لهم: (لا إله إلا

الله) ولا رب سواه ولا شريك له في ألوهيته وربوبيته، أدركوا ما دُعوا إليه تماماً وتبين لهم من غير ما لبس ولا إبهام أي شيء هو الذي قد نفاه القائل ومنع غير الله أن يوصف به، وأي شيء قد خصه وأخلصه لله تعالى، فالذين كفروا إنما كفروا عن بينة ومعرفة بكل ما يبطله وينعي عليه كفره بألوهية غير الله وربوبيته، وكذلك من آمن فقد آمن عن بينة وبصيرة بكل ما يوجب قبول تلك العقيدة الأخذ به أو الانسلاخ عنه.

ومن ثم لما قيل لهم "أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" وادخلوا في دين الله منقطعين عن الأديان كلها! ما أخطأوا في فهم هذه الدعوة التي جاء بها القرآن..

وما إن قرعت كلماتها أسماعهم حتى تبينوا: أي نوع من التغيير في نظام حياتهم جاءت تطالبهم به تلك الدعوة؟! وصرخوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)﴾ [ص: ٥-٦].

ف(لا إله إلا الله): تتكون من:

(١)(الله)، (٢)(لا إله)، (٣)(إلا الله)

<u>فأولا:</u> يجب أن نعرف من هو الله؟ من هو رب العالمين؟ من هو الإله؟

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال مجاهد رحمه الله: (إلا ليعرفوني) وفي حديث معاذ رضي الله عنه عندما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله افترض عليه خمس صلوات في اليوم والليلة" رواه مسلم.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في (تفسيره): "إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.. بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين. وبحسب معرفته بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن".

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني: "قال بعض العلماء: أول فرض فرضه اللهُ على خلقه معرفته، فإذا عرَفه الناس عبدوه، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا اللَّه حقَّ عظمته، قال: ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يُزَوِّجه أو يُعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجدِّه، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فاللَّه الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطته أولى أن نعرف أسماءه، ونعرف تفسيرها" اهـ.

فمثلًا: من عرف أنه حييٌّ كريم قوي فيه رجاؤه وازداد فيه طمعه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن ربكم تبارك وتعالى حَييٌّ كريم يستحي مِن عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صفرًا "رواه الترمذي وصححه الألباني.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: " أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة" **رواه أبوداود وصححه الألباني.**

وفي رواية لابن أبي حاتم: "يخفق الطير سبعمائة عام".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقار إليه وخضوعاً له، كان أقرب إليه وأعزّ له أعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله، وأما المخلوق فكما قيل: "احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره".

فأعظم ما يكون العبد قدراً وحرمة عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم – ولو في شربة ماء – نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، لكون الدين كله لله، ولا يشرك به شيئاً، فالربُّ سبحانه أكرم ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه وأفقر ما تكون إليه، والخلق أهون ما يكون عليهم أحوج ما يكون إليهم".

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "فإذا جرَّد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه والدفاع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا".

فتجريد التوحيد: تجريد الخشية لله أو التعظيم المذهل.. وهو أن يعظم الموحد الله، ويخافه خوفا يملأ جنبات نفسه ويستولي على قلبه بحيث لا يتسع بعد ذلك لأن يتغلغل فيه خوف من سواه.. فخوف الله جبار السموات والأرض يذهله عن الالتفات إلى خوف أو تعظيم سواه سبحانه.. إذ كل ما يخشى ويخاف ويدعى من دون الله.. هو في الحقيقة: (ليس بشيء) كما قال تبارك وتعالى: " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" ثم قال سبحانه وتعالى: "إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم".

فـ(الله) و(الإله): "هو المعبود المطاع الذي تألهه القلوب، أي تتجه له وتقصده وتخضع له وتذل له وتتعلق به خشية وإنابة ومحبة وخوفاً وعبادة وطاعة وولاء والبراءة من أعدائه وتحكيما وتوكلاً عليه وإخلاصاً له تبارك وتعالى" فلا يخطر ببال إنسان أن يعبد أحداً ما لم يظن فيه أنه قادر على أن يسد خلته، وأن ينصره على النوائب ويؤويه عند الآفات وعلى أن يسكن من روعه في حال القلق والاضطراب.

ولا يمكن أن يخطر ببال المرء أن يتوجه لمعبود إلا إذا كانت قوّته من وراء حجاب الغيب، وكانت مقدرته على قضاء الحوائج تحت أستار الخفاء".

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾ [الأنعام: ٣].

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)﴾ [الزخرف: ٨٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "وشاهد من ذكر اسمه: "رَبِّ الْعَالَمِينَ" قيُّومًا قام بنفسه؛ وقام به كلُّ شيءٍ، فهو قائمٌ على كلِّ نفس بخيرها وشرِّها، قد استوى على عرشه، وتفرَّد بتدبير ملكه، فالتدبير كلُّه بيديه، ومصير الأمور كلُّها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرِّين: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ [الرحمن: ٢٩].

لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا مُعقِّب لحكمه، ولارادَّ لأمره، ولا مُبدِّل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال - أول النهار وآخره - عليه، فيُقدِّر المقادير ويُوقِّت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائمًا بتدبير ذلك كلِّه وحفظه ومصالحه".

وقال رحمه الله: "قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ [الرحمن: ٢٩].

يغفر ذنبًا؛ ويُفرّج كربًا؛ ويكشف غمًا، وينصر مظلومًا؛ ويأخذ ظالما، ويفكُّ عانيًا؛ ويُغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا؛ ويشفي مريضًا، ويُقيل عثرةً؛ ويستر عورةً، ويُعِزُّ ذليلاً؛ ويُذِلُّ عزيزًا؛ ويُعطي سائلاً، ويُذهب بدولةٍ ويأتي بأخرى؛ ويداول الأيام بين الناس؛ ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، ويسوق المقادير التي قدَّرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عامٍ إلى مواقيتها؛ فلا يتقدَّم شيءٌ منها عن وقته ولا يتأخَّر، بل كلٌّ منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه؛ وجرى به قلمه؛ ونفذ فيه حكمه؛ وسبق به علمه، فهو المتصرِّف في الممالك كلِّها وحده؛ تصرُّف ملك قادرٍ قاهرٍ، عادلٍ رحيم، تامُّ الملك؛ لا يُنازعه في ملكه منازعٌ؛ ولا يُعارضه فيه معارضٌ، فتصرُّفه في المملكة دائرٌ بين العدل والإحسان؛ والحكمة والمصلحة والرحمة؛ فلا يخرج تصرُّفه عن ذلك".

وحاجة الإنسان وضرورته إلى عبادة الله تعالى (الإله الحق) فوق كل حاجة وضرورة يقول ابن تيمية – في هذا الصدد: "اعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها، الله الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه.

ولو حصل للعبد لذّات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال وتارة أخرى يكون ذلك الذي تنعم به والتذ به غير منعم له ولا ملتذ به، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنه، ويضره ذلك. وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه".

ويقول ابن القيم رحمه الله: "اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود والتقرب، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس

لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره.. ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها).

ثانيا: (لا إله إلا الله) تقوم على ركنين: الأول: (لا إله) والثاني: (إلا الله)

(لا إله): نفي جميع ما يعبد من دون الله، ويعني عمليا: اجتناب الطاغوت والشرك، (إلا الله): إثبات وإخلاص العبودية لله وحده.

***(الإثبات) قائم على العبادة وعمل الصالحات وعلى الإيمان أركانه وشعبه.. و(النفي) قائم على اجتناب الشرك والكفر وعلى اجتناب الطاغوت.**

وهذه المسألة (النفي والإثبات) يجب أن ندع الناس إليها وأن يفهمها الناس ويعملوا بها قبل الصلاة والزكاة! فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذاً رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال: " إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم. فإن أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " **متفق عليه.**

قال القاضي عياض رحمه الله: "وفى قوله عليه السلام لمعاذ دليل بيّن أَلاّ يطالب أحد بفروع الشريعة إلا بعد ثبات الإيمان".

وعند التأمل والتدبر لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في معنى (لا إله إلا الله) نجد أنه لا بد من (نفي... وترك... وبراء... وكفر... واجتناب... وانتهاء...) ولا بد من (إثبات... وعمل... وولاء... وإيمان... وعبادة... وائتمار...) وإلا لن تنفع صاحبها وقائلها أبدا، فلا بد أن تقوم على (النفي والإثبات) ولا يغني أحدهما عن الآخر. فلا بد عند النطق بـ(لا إله إلا الله)لا بد من (نفي) جميع الآلهة و(ترك) الشرك و(البراءة) من الكفر وأهله و(اجتناب وكفر) بالطاغوت و(الانتهاء) عن اتخاذ الأنداد لله وعن الشرك، ولا بد من (إثبات) العبودية لله وحده و(عمل) الصالحات و(ولاء) لله ورسوله والمؤمنين و(عبادة وإيمان) بالله و(الائتمار) بالعبادة.

وهذا هو الدين وهو الإسلام وهو الإيمان، وهو الإيمان الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وقد علّق الله الاستخلاف في الأرض والتمكين وتبديل الخوف إلى أمان بالعمل بهذا المعنى، وهي الهدف من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام الذي أمر نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعها، وهذا المعنى هو الذي دعا إليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي فهمته قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من معنى (لا إله إلا الله)، وهو الذي فهمته الجن من دعوته صلى الله عليه وسلم لهم، وهي النذار الواضحة، وهو الحق الذي يريده الله منا..

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "اعلم – رحمني الله وإياك وثبتنا على الإسلام والتوحيد حتى نلقاه – أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: النهي عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله" اهـ.

والأدلة على ذلك ما يلي:

قد جاءت (**لا إله إلا الله**) أيضا بصيغ أخرى تفيد (النفي والإثبات) مثل: (كفر وإيمان) قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦].

و(عبادة واجتناب) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧)﴾ [الزمر: ١٧].

و(ولاء وبراء) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

و(عمل وترك) قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠].

و(ائتمار وانتهاء) (ائتمار) بالعبادة و(انتهاء) عن اتخاذ الأنداد لله وعن الشرك قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وهذا هو الدين وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

فسمى الله شهادة الحق (لا إله إلا الله) هو الدين والإسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (إثبات) وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (نفي)﴾ [الأنعام: ١٦١].

وهو الإيمان الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥].

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (إثبات) (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً (نفي) إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي (إثبات) لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا (نفي)﴾.

وقد علّق الله الاستخلاف في الأرض والتمكين وتبديل الخوف إلى أمان بالعمل بهذا المعنى "يَعْبُدُونَنِي (إثبات) لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا (نفي)".

وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا (إثبات) وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ (نفي) أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

وهي الهدف من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "بعث بالسيف حتى يعبد الله (اثبات) لا شريك له (نفي)، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم " **رواه أحمد وصححه الألباني**.

فلا بد عند النطق بـ(لا إله إلا الله)لا بد من (نفي) جميع الآلهة و(ترك) الشرك و(البراءة) من الكفر وأهله و(اجتناب وكفر) بالطاغوت و(الانتهاء) عن اتخاذ الأنداد لله وعن الشرك، ولا بد من (إثبات) العبودية لله وحده و(عمل) الصالحات و(ولاء) لله ورسوله والمؤمنين و(عبادة وإيمان) بالله و(الائتمار) بالعبادة.

وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام الذي أمر نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعها، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(نفي) (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا (إثبات) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (نفي) (٧٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (اثبات) وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (نفي)﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [إثبات] (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ [نفي] وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وهذا المعنى هو الذي دعا إليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: "اعبدوا الله (اثبات) مالكم من إله غيره (نفي)".

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وهذا هو الذي فهمه الأقوام من أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ (اثبات) وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (نفي) فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾..

وهو الذي فهمته قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فعندما سأل هرقل أبا سفيان قبل أن يسلم عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم: "قال: فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده (اثبات) لا نشرك به شيئا (نفي) وينهانا عما كان يعبد آباؤنا (نفي)"رواه البخاري.

وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من معنى (لا إله إلا الله) فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان" متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: " بنى الإسلام على خمس على أن يعبد الله (اثبات) ويكفر بما دونه (نفي) وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان".

وهو الذي فهمته الجن من دعوته صلى الله عليه وسلم لهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ (اثبات) وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (نفي) ﴾.

وهي النذار الواضحة: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ (اثبات) إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ (نفي)، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) ﴾.

وهذا هو الحق الذي يريده الله منا كما في حديث معاذ رضي الله عنه الذي في **الصحيحين**: قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير فقال: "يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا".

ومفهوم الحديث أن العبد يستحق العذاب بالشرك لتركه حق الله تعالى وإتيانه بضده، وهذا مفهوم نطقت به نصوص شرعية كثيرة، فإنه لا مقصد لخلق الإنسان إلا هذا، وغيره تبع له، فإن تعمير الأرض وسعيَ الإنسانِ فيها وقيامَه بشأن نفسه والآخرين إنما تكون أهميته حين يأتي به المرء على وجه التعبد لله لأنه الموافق لمقصد خلقه ووجوده، أما إن جاء بهذه الأعمال على وجه التمتع ورغد العيش والرفاهية فإن له ما تولى ولا أجر له- آنشتاين وأدسون و...، ولذا لا يستحق المدح الديني، وبهذا يظهر ضلالُ الكثيرين اليوم ممن يريدون إيجاب المدح الإلهي لقوم يكفرون به ويسبونه وينسبون له الشريك والولد أو يأبون الخضوع لأمره وشرعه، وما دعاهم لهذا إلا سوءُ طوِيَّتهم وفراغُها من عظمة الله وهيبته! ولو كان لله تعالى تعزيز في قلوبهم لما جرؤُوا على هذه المقالات

الشنيعة.. وإذا كان العبد لا يستحق الثناء ولا رفعة الدرجات ولا تحصيل الحسنات بعمله الصالح مع توحيده؛ إذ ليس له من حق على الله إلا أن لا يعذبه فكيف يوجب هؤلاء المتهوكون على الله أن يعطي هؤلاء المشركين فضله وكرامته وهم يسبونه ويشركون به؟! اللهم إنّا نعوذ بك من العمي والضلالة.

*فأساس الخلاف الذي بيننا وبين قومنا هو نفس الخلاف الذي بين الأنبياء وأقوامهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

فإن قيل: كل الناس يقولون (لا إله إلا الله)!

فالجواب: إذا أقر الإنسان بهذه (الكلمة) صار مسلماً ملتزماً بأن تكون عبادته كلها لله شرائع وشعائر وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي (شعائر) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي (شرائع) لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾..

فلا يُوجه شيئا منها لغير الله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن ثم فعليه أن يعرف الشرك بأنواعه والذرائع المفضية إليه حتى لا يقع فيها، بل يعرفه فيجتنبه وأن يلزم التوحيد فيكون حنيفاً كما أمره الله تعالي ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

والحنيف هو المقبل على الحق بالابتعاد والميل والإعراض عن الباطل...

ومن أجل ذلك كرر الكتاب العزيز تأكيداً لهذا الأصل كما في الآيات التالية ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣١].

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾ [البقرة: ١٣٥].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]

وغير ذلك كثير.. فخلافنا ليس على قول ((لا إله إلا الله)! وإنما على معناها والعمل بمقتضاها وتحمل المشاق من أجلها! فليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإنّ المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدّرك الأسفل من النار! مع كونهم يُصلون ويتصدقون! ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته؛ ولذلك رفض المشركون أن يقولوها للنبي صلى الله عليه وسلم مع رغبتهم الشديدة في صد دعوته بجميع السبل، قال ابن إسحاق وغيره: لما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشًا ثقله، قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ على ابن أخيه، وليعطه منا، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا، وفي لفظ: فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب، يقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، فمشوا إلى أبي طالب فكلموه، وفيهم أشراف قومه: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم.

وهم خمسة وعشرون تقريبًا. فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ له منا، وخذ لنا منه؛ ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا وندعه ودينه، فبعث أبو طالب، فجاءه فقال: يابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك ليعطوك، وليأخذوا منك، ثم أخبره بالذي قالوا له وعرضوا عليه من عدم تعرض كل فريق للآخر.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم إن أعطيتكم كلمة تكلمتم بها، ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم"، وفي لفظ أنه قال مخاطبًا لأبي طالب: "إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدى إليهم بها العجم الجزية"، وفي لفظ آخر قال: "أي عم، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟" قال: وإلام تدعوهم؟ قال: "أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم"، ولفظ رواية ابن إسحاق: "كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم"، فلما قال هذه المقالة توقفوا وتحيروا ولم يعرفوا كيف يرفضون هذه الكلمة الواحدة النافعة إلى هذه الغاية والحد، ثم قال أبو جهل: ما هي؟ وأبيك لنعطيكها وعشر أمثالها، قال: تقولون: " لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه" فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ إن أمرك لعجب! ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ

الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)﴾ [ص: ١-٧].

فالقضية واضحة في أذهانهم من أن الالتزام بهذه الكلمة معناه الرفض الجازم والتخلي الكامل عن كل ما عدا الله من معبوداتهم وطواغيتهم المختلفة، طاغوت الأوثان وطاغوت الزعامة وطاغوت القبيلة وطاغوت الكهانة وطاغوت التقليد... الخ، والاستسلام الكامل لله ورد الأمر كله - جليله وحقيره وكبيره وصغيره- إلى الله تعالى وحده لا شريك له.

الرسالة الخامسة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٥]

(٥) [الكهف:٣٠].

*: **(لا إله إلا الله) تقوم على ركنين: الأول: (لا إله) والثاني: (إلا الله)** (لا إله): نفي جميع ما يعبد من دون الله، ويعني عمليا: اجتناب الطاغوت والشرك، (إلا الله): إثبات وإخلاص العبودية لله وحده.

فلا بد من (إثبات) العبودية لله وحده و(عمل) الصالحات..

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠].

فالإثبات قائم على العبادة وعمل الصالحات وعلى الإيمان أركانه وشعبه..

*ف(عمل الصالحات) من أركان الإيمان، فمن لم يكن له من العمل شيء لم يقم إيمانه بدون هذا الركن، وهذا أصل ما أمر الله به عباده فقال: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)، (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) وغير ذلك، قال الشافعي رحمه الله في كتابه **(الأم)**: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزي واحد من الثلاث إلا بالآخر" اهـ.

*والتوحيد له ركنان: عبادة الله، وترك عبادة غيره، فالذي لا يعمل من الأعمال شيئًا فقد ترك أحد الركنين وهو ركن (الإثبات) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)﴾ [يونس: ٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣)﴾ [هود: ٢٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧)﴾ [الكهف: ١٠٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم: ٩٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨)﴾ [لقمان: ٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)﴾ [فصلت: ٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾ [البروج: ١١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)﴾ [البينة: ٧].

*(شعب الإيمان): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » **متفق عليه**.

ولقد عدها الإمام البيهقي رحمه الله سبعاً وسبعين شُعبة وهي:

(١) الإيمان بالله عز وجل.

(٢) الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم ـ عامة.

(٣) الإيمان بالملائكة.

(٤) الإيمان بالقرآن المنزل على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أجمعين.

(٥) القدر خيره وشره.

(٦) الإيمان باليوم الآخر.

(٧) الإيمان بالبعث والنشور.

(٨) الإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم.

(٩) الإيمان بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنة والكافرين ومأواهم النار.

(١٠) محبة الله عز وجل.

(١١) الخوف من الله تعالى.

(١٢) الرجاء.

(١٣) التوكل على الله.

(١٤) حب النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٥) تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله وتوقيره.

وهذه منزلة فوق الحب لأنه ليس كل محب معظماً إلا أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمة والولد محب والده أجمع له بين التكريم والتعظيم والسيد قد يحب مماليكيه ولكن لا يعظمهم والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم. فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة.

(١٦) شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر.

(١٧) طلب العلم.

(١٨) نشر العلم وعدم كتمانه.

(١٩) تعظيم القرآن، ومنها تعلمه والمداومة على تلاوته وحضور القلب والتفكر فيه وتحريم ما حرمه الله فيه وإحلال حلاله.

(٢٠) الطهارات ومنها الوضوء.

(٢١) الصلوات والمحافظة عليها.

(٢٢) الزكاة.

(٢٣) الصوم.

(٢٤) الاعتكاف.

(٢٥) مناسك الحج.

(٢٦) الجهاد.

(٢٧) المرابطة في سبيل الله عز وجل.

(٢٨) الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف.

(٢٩) أداء خُمْس المغنم إلى الإمام أو عامله على الفاتحين.

(٣٠) العتق والتقرب إلى الله به.

(٣١) الكفارات الواجبات بالجنايات.

وهي أربعة: كفارة القتل والصوم والظهار وحلف اليمين.

(٣٢) الوفاء بالعقود.

(٣٣) حفظ اللسان.

(٣٤) تعديد نعمة الله ووجوب شكرها.

(٣٥) الأمانات ويجب أدائها إلى أهلها.

(٣٦) تحريم النفوس والجنايات عليها.

(٣٧) تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها.

(٣٨) قبض اليد عن الأموال المحرمة ويدخل فيه السرقة وقطع الطريق.

(٣٩) المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنه مثل الدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والخمر والمخدرات بأنواعها.

(٤٠) الملابس والزي والأواني وما يكره منها.

(٤١) تحريم الملاعب والملاهي -يدخل في ذلك الغناء الماجن المثير للشهوات والغرائز . والذي انتشر في عصرنا الحالي كما تنتشر النار في الهشيم-.

(٤٢) الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل.

(٤٣) الحث على ترك الغل والحسد.

(٤٤) تحريم أعراض الناس ومنها قذف المحصنات الغافلات.

(٤٥) إخلاص العمل لله وترك الرياء.

(٤٦) السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة.

(٤٧) معالجة كل ذنب بالتوبة.

(٤٨) الهدي والأضحية وما يُقَدَمُ من قربات إلى الله تعالى.

(٤٩) طاعة أولي الأمر في غير معصية الخالق.

(٥٠) التمسك بما عليه الجماعة.

(٥١) الحكم بين الناس بالعدل.

(٥٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٥٣) التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان.

(٥٤) الحياء.

(٥٥) بر الوالدين.

(٥٦) صلة الأرحام.

(٥٧) حُسن الخُلق.

(٥٨) الإحسان إلى المماليك ويدخل فيه الآن الخادم والخادمة.

(٥٩) حق السادة على المماليك أو من يقوم بخدمتهم.

(٦٠) حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على أهله وولده وتعليمه إياهم أمور دينهم والقيام على ما يحتاجون إليه.

(٦١) مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم.

(٦٢) رد السلام.

(٦٣) عيادة المريض.

(٦٤) الصلاة على من مات من أهل القبلة.

(٦٥) تشميت العاطس.

(٦٦) مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم.

(٦٧) إكرام الجار.

(٦٨) إكرام الضيف.

(٦٩) الستر على أصحاب القروف.

(٧٠) الصبر على المصائب.

(٧١) الزهد.

(٧٢) الغيرة.

(٧٣) الإعراض عن اللغو.

(٧٤) الجود والسخاء.

(٧٥) رحم الصغير وتوقير الكبير.

(٧٦) الإصلاح بين الناس إذا مرجوا وفسدت ذات بينهم إما لدم أريق وإما لمال أُصيب لبعضهم وإما لتنافس وقع بينهم أو غير ذلك من الأسباب التي تفسد الأخوة وتقطع المودة.

(٧٧) أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يُحِبُ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق.

ويناسب هنا أن أنقل لك موضعا نفيسا لابن القيم من كتابه: **(إغاثة اللهفان)** وذلك أن الله سبحانه قد ضمن نصر دينه وحزبه وأولياءه القائمين بدينه علما وعملا.. فقال سبحانه وتعالى: "وإن جندنا لهم الغالبون "وقال تبارك وتعالى: "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي" وقال عز وجل: " والعاقبة للمتقين" لكن للعبد من ذلك حسب

إيمانه وتقواه. .قال تعالى: "وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين "فله العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه..

فإذا فاته حظ من العلو والعزة ففي مقابل ما فاته من حقائق الإيمان علما وعملا ظاهرا وباطنا..

وكذلك الدفع عن العبد هو بحسب إيمانه قال تبارك وتعالى: "إن الله يدافع عن الذين آمنوا" وكذلك الكفاية والحسب هي بقدر الإيمان قال تعالى: "يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" أي الله حسبك وحسب أتباعك.. أي كافيك وكافيهم فكفايته لهم بحسب اتباعهم لرسوله، وانقيادهم له وطاعتهم له فما نقص من الإيمان عاد بنقصان ذلك كله..

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص.

وكذلك.. ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه. .قال تعالى: "والله ولي المؤمنين "وقال سبحانه: " الله ولي الذين آمنوا" فإذا نقص الإيمان وضعف؛ كان حظ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان..

وكذلك.. النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل. .قال تعالى: "إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد" وقال تعالى: " فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين" فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد. ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو بإدالة عدوه عليه فإنما هي بذنوبه؛ إما بترك واجب أو فعل محرم.. وهو من نقص إيمانه..

وبهذا يزول الإشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى: "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" ويجيب عنه كثير منهم بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلا في الآخرة، ويجيب آخرون بأنه لن يجعل لهم سبيلا في الحجة.

والتحقيق: أنها مثل هذه الآيات؛ وأن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله. فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه أين كان ولو اجتمع عليه من بأقطارها.. إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهرا وباطنا..

قال الله تعالى: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" قال تبارك وتعالى: "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم لن يتركم أعمالكم " فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله.. يحفظهم بها، ولا يقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم.. كما بتر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذا كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره.. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " أهـ.

بشارة ونذارة: في رحلة الحياة هذه إلى الدار الآخرة-إن كنت مؤمنا موحدا- هي رحلة في طاعة لله.. رحلة تسجل فيها مقادير الذر "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره".. رحلة فيها الكلمة ترفع صاحبها إلى أعلى الجنان أو تحطه إلى قرار الجحيم.. رحلة فيها حركة يد على رأس يتيم بعطف تكفر السيئات... وبسمة في وجه الصديق تكتب في الميزان... وجرعة ماء في فم كلب تدخل الجنة.. ورفع حجر عن طريق المسلمين تتقلب به في أنهار الجنة... وأمنية في القلب أن يصيب مسلم خيراً تحط سيئات... إنها رحلة لا تترك الشر حتى يعظم ولا تحتقر الخير مهما صغر. "ولا يهلك على الله إلا هالك" كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

الرسالة السادسة: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6]

مفهوم الآية يقتضي أن من آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت، أو كفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى وشهد أن لا إله إلا الله.

وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى، له دلالات عظيمة، منها: عدم الاستهانة بقضية الكفر بالطاغوت، وبيان أنه أصل هام تبنى عليه بقية الأصول والفروع.

ومنها، أنه لا بد من أن يسبق الإيمان الكفر بالطاغوت، ولو قُدم الإيمان على الكفر بالطاغوت فإن الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء إلا بعد الكفر بالطاغوت والتخلي عن الشرك.

*فالله قد فرض علينا (الكفر بالطاغوت) واجتنابه، وكثير من الناس لا يعرف ما معنى (الطاغوت)؟ فكيف يجتنبه ويكفر به؟!

***ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:**

١-توحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله، كالخلق والتدبير والحكم والتشريع والاستئثار بعلم الغيب.

٢- توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد، كالخوف والرجاء والذبح والنذر والتحاكم.

٣-توحيد الله بأسمائه وصفاته: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

*(**الشرك**): هو أن تجعل لله ندا في ربوبيته وألوهيته، كالذبح لغير الله والتحاكم لغير شريعة الله.

و(**الكفر**): أصله تغطية الشيء، وسمى الفلّاح كافراً لتغطية الحب، وسمي الليل كافراً لتغطية كل شيء.

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ [الحديد: ٢٠].

---

(٦) [البقرة: ٢٥٦]

واصطلاحا: "الكفر: هو رد الإيمان وجحده، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب".

كالاستهزاء بالدين والشك بالبعث.

وذكر العلامة السعدي رحمه الله أن حد (الشرك الأكبر) الذي يجمع أنواعه وأفراده: "أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر" وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء، وأما حد (الشرك الأصغر) فهو: "كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة" اهـ.

و(الشرك) نوعان: النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملة، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين، وحقيقته: تسوية المخلوق بالخالق بصرف أي نوع من أنواع العبادة له.

يقول العلاَّمة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله: " الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه سواءٌ أُطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية؛ كالصنم والوثن، أو أُطلق عليه اسم آخر؛ كالولي والقبر والمشهد".

والنوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقص التوحيد، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة شركا، وهي لا تصلُ إلى حدِّ الشرك الأكبر كالحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " **رواه الترمذي وحسنه**.

(الكفر) نوعان: النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة، كمعاونة الكفار على المسلمين وبغض شئ من دين الإسلام كالجهاد.

النوع الثاني: كفرٌ أصغرُ لا يُخرجُ من الملة، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كُفرًا، وهي لا تصلُ إلى حدِّ الكفر الأكبر، مثلُ قتال المسلم من أجل الدنيا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: " سباب المسلمِ فُسوقٌ، وقتالُه كفر" **رواه البخاري ومسلم**.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تَرجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعض "**رواه الشيخان**.

و(الشرك الأكبر): هو رديف (الكفر الأكبر)، ويترتب عليه ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث أنه يحبط العمل كلياً، ويخرج صاحبه من الملة، ويخلده في نار جهنم أبداً، ويمنع عنه شفاعة الشافعين.

قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

فالمراد به الشرك الأكبر والكفر الأكبر والله أعلم، كما في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١].

فهم كفروا وبنفس الوقت وصفوا بأنهم أشركوا.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧].

وكما في **صحيح مسلم** قال صلى الله عليه وسلم: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرها له وأشدها مقتا لديه ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه وأخبر أنه لا يغفره وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه وحرم ذبائحهم ومناكحتهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيدا وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقيص لعظمة الألهية وسوء ظن برب العالمين".

وقال رحمه الله: " قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزلَ كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، ومن أعظم القسط: التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه؛ وإن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان: ١٣].

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل؛ فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر.... فلما كان الشرك منافيًا بالذات لهذا المقصود؛ كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملًا، أو يقبلَ فيه شفاعة، أو يَستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها رجاء؛ فإن المشرك أجهل

الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك في الواقع لما يظلم ربَّه، وإنَّما ظلَمَ نفسه".

و(الشرك) و(الكفر) هما نواقض الشهادتين وتسمى (نواقض الإسلام) لأن الشهادتين هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلولهما، والتزام بالقيام بما تقضيانه؛ من أداء شعائر الإسلام، فإذا أخل بهذا الالتزام فقد نقض التعهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين.

ونواقض الإسلام كثيرةٌ قد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه بابًا خاصًّا سموه (باب الردة)، وأهمها عشرة نواقض ذكرها شيخ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهاب رحمه الله في قوله:

١-الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة: ٧٢].

ومنه الذبحُ لغيرِ الله؛ كالذبح للأضرحة أو الذبح للجن.

٢- من جعل بينَهُ وبينَ الله وسائط؛ يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعًا.

٣- من لم يكفر المشركين، ومن يشكّ في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر.

٤- من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام.

٥- من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم - ولو عمل به -؛ كفر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه؛ كفر، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

٧ – السحرُ، ومنهُ الصرفُ والعطفُ، فمن فعله، أو رضي به؛ كفرَ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨– مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة: ٥١].

٩ – من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، عليه السلام؛ فهو كافر.

١٠ – الإعراض عن دين الله، لا يتعلمُهُ، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣)﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢)﴾ [السجدة: ٢٢].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "لا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذَرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذُ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه".

*(**العبادة**): أصل العبادة التذلل والخضوع، تقول طريق معبّد أي مذلل، والتعريف الجامع لها شرعا هو: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".

وهي مُنقسمة على القلب واللسان والجوارح، فمثلا الخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرغبة والرهبة: عبادة قلبية.

والتسبيح والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والحمد والشكر باللسان والقلب: عبادة لسانية قلبية.

والصلاة والزكاة والحج والقتال والذبح: عبادة بدنية قلبية.

*و(**الطاغوت**) لغة: ما تجاوز حده، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١)﴾ [الحاقة: ١١].

واصطلاحا: قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "والصواب من القول عندي في (الطاغوت): أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء".

ويمكن أن نقول: له تعريفان

(١) تعريف متعلق بتوحيد الربوبية: وهو "كل من تجاوز حده وغَلا في الكفر وادّعى خاصية من خصائص الله تعالى".

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ [الأنبياء: ٢٩]

قال الجوهري: "الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال" اهـ.

وقال بعض السلف في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠].

إنه كعب بن الأشرف، وقال بعضهم: حييّ بن أخطب، وإنما استحقَّا هذا الاسم لكونهما من رءوس الضلال، ولإفراطهما في الطغيان وإغوائهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت.

فـ(الكاهن) الذي يدعي علم الغيب: طاغوت؛ لأنه تجاوز حده وادعى خاصية من خصائص الله تعالى وهو الاستئثار بعلم الغيب قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾ [النمل: ٦٥].

والمقر له بذلك: مشرك؛ لأنه اعتقد أن هناك من يشارك الله في علم الغيب.

وأيضا: فإن من خصائصِ وصفاتِ اللهِ تعالى أنَّه الحَكَمُ وإليهِ الحُكْمُ؛ لا شريكَ له في الحُكْمِ والتشريعِ؛ فالحقُّ ما حكَمَ عليه الخالقُ سبحانه وتعالى بأنَّه حقٌّ، والباطِلُ ما حكَمَ اللهُ تعالى عليه بأنَّهُ باطلٌ، والحلالُ ما حكمَ اللهُ تعالى عليه بأنهُ حَلالٌ، والحرامُ ما حَكَمَ اللهُ تعالى عليه بأنَّه حرامٌ..

فالحكمُ على الأشياءِ إليه وحدَهُ سبحانه وتعالى لا لغيرِهِ، كما قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ [الكهف: ٢٦].

فإن زعَمَ مخلوقٌ لنفسِه هذا الحقِ، وقالَ: الحكمُ لي، ولي الحقُّ في أن أُشَرّعَ، وأحلِّلَ، وأحرِّمَ، وأن أحكمَ على الأشياءِ بالتحسينِ والتقبيحِ من تِلقاءِ نفسي من دونِ اللهِ عز وجل.. فهو حينئذٍ بهذا الادعاء الكبير الكاذِب.

طاغوتٌ.. ومن تابَعَهُ وأقرَّه من الناسِ على هذا الادعاء فهو مشرك داخلٌ في عبادةِ الطاغوتِ من دونِ اللهِ عز وجل. ولذلك فإن "عضو مجلس النواب" طاغوت؛ لأنه تجاوز حده وادّعى خاصية من خصائص الله تعالى وهي خاصية التشريع والتحليل والتحريم قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)﴾ [الشورى: ٢١].

والذي يطيعه في تشريعه أو ينتخبه وهو يعلم أنه مشرع فقد أشرك مع الله ربا آخر قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ [التوبة: ٣١].

روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق، عن عدي بن حاتم، رضي الله عنه، أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثمَّ منَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، ورَغَّبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عَدِيّ المدينة، وكان رئيسا في قومه طيئ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدَّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عَدِيّ صليب من فضة، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: "بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم".

فقد سمى الله (المشرعين): أربابا، وسمى الذين يقرون لهم بذلك: مشركين، وسماهم النبي صلى الله عليه وسلم عبّادا لهم.

ولم يُتخذ ذلك (الأرباب) آلهة من حيث أن الناس يدعونه أو يعتقدون فيه أنه يضرهم وينفعهم أو أنه يُستجار به! بل قد اتخذوه إلهاً من حيث تلقوا أمره شرعاً لهم، وائتمروا بأمره وانتهوا عما نهى عنه، واتبعوه فيما حلله وحرمه، وزعموا أن له الحق في أن يأمر وينهى بنفسه، وليس فوقه سلطة قاهرة يحتاج إلى الرجوع والاستناد إليها.

وتعريف(٢): متعلق بتوحيد الألوهية وهو (كل من تجاوز حده وغَلا في الكفر فصُرف له نوع من أنواع العبادة وهو راض).

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ [الأنبياء: ٢٩].

قال الواحدي: "قال جميع أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله" اهـ.

وقال الإمام مالك رحمه الله: "كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت" اهـ.

قال ثعلب: "كل من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولياً".

قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾ [مريم: ٤٥].

قال ابن تيمية رحمه الله في (**الفتاوى:٢٨/٢٠٠**): "الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك طاغوت، ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: "ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت" **متفق عليه**.

والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت ولهذا سمى من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسمى فرعون وعاداً طغاة" اهـ.

فمثلا: (الدعاء): عبادة قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ [غافر: ٦٠].

وسماها الله عبادة، ووصف الذين يُدعون من دون الله أنهم يُعبدون قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

فإن كانوا راضين فهم طواغيت، وإلا فليسوا كذلك وليس عليهم ذنب كالملائكة وعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وأيضا (التحاكم عبادة) قال صلى الله عليه وسلم: "وبك خاصمت وإليك حاكمت" **رواه البخاري ومسلم**.

فإذا تحوكم إلى الله ورسوله فهي عبادة وتوحيد وإذا تحوكم إلى غيرهما فهو طاغوت، كـ(مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة) والمتحاكِم إليها مشرك؛ لأنه صرف شيء من العبادة لغير الله "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه".

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠].

يقول العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله: "فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألّهاً وعبادة وشركاً، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيّر أسمائها، فالشرك إنما حُرِّم لقبحه في نفسه، وكونه متضمناً مسبَّة الربّ، وتنقُّصه، وتشبيه المخلوقين به عز وجل، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه؛ كتسميته توسُّلاً، وتشفُّعاً، وتعظيماً للصالحين".

فإذا أردت أخي الموحد أن تدعو شخصا وقع في الشرك فعليك أولا أن تثبت له أن عمله هذا (عبادة) ثم أخبره أن صرفه لهذه العبادة لغير الله يسمى شركا-كما مرّ في الأمثلة السابقة-.

***وليس من شريعة الله أن نقول للناس: (اكفروا بالطاغوت... اجتنبوا الطاغوت) ثم لا نبّين للناس ما هي صفة الطواغيت؟** فضلا أن نبيّن لهم أعيانهم! فضلا أن نفضحهم! فضلا أن نجاهدهم! فقد بيّن الله في لنا في القرآن صفتهم ونص على بعض أعيانهم الذين كانوا في عهد نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضحهم، فقد قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "الطاغوت عام: فكُل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة:

(الأول) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)﴾ [يس: ٦٠].

(الثاني) الحاكم الجائر المغيّر (المشرع) لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ [النساء: ٦٠].

(الثالث) الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤].

(الرابع) الذي يَدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] وقال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام: ٥٩].

(الخامس) الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وهذا هو الذي فهمه الناس من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد روى ابن اسحاق رحمه الله: قال: "حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصي: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عدوانه؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فقالوا فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط: "سفه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا"، وصبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قال؛ فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه، فمضى، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: "أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح" فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا ولكأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فو الله ما أنت بجهول، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينا هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل، وأحاطوا به ويقولون "أنت الذي يقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم؟" فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم أنا الذي أقول ذلك" لقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر الصديق دونه يبكي ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط" اهـ.

فأين أتباع النبي صلى الله عليه وسلم المقتفين أثره الصادعين بدعوته؟!

فقضية توحيد الله في العبودية والكفر بالطاغوت، كانت الهم الأكبر، والغاية العظمى للأنبياء والرسل، لا يصرفهم عنها صارف، ولا يشغلهم عنها شاغل، ولم تكن تقبل عندهم المساومة، أو يرضوا فيها أنصاف الحلول، فإما استسلام وعبودية مطلقة لله تعالى وحده، وهو الإيمان، أو عبودية للطاغوت - ولو في جانب من جوانب العبادة - فهو الكفر والشرك، والخروج من دائرة الدين الحق إلى دين الطاغوت. لذا كان لأجلها تُسل السيوف، وتبعث البعوث، وتجهز الجيوش، وعليها يعقد الولاء والبراء. ويعلن الحرب والسلم، وفي سبيلها تبذل المهج والأرواح، ويرخص كل غال ونفيس.

والناس ينقسمون أمام قضية (لا إله إلا الله): إما (ولاية الله) وإما (ولاية الطاغوت)! ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾ [البقرة: ٢٥٧].

إما القتال (في سبيل الله) وإما القتال (في سبيل الطاغوت)! ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ [النساء: ٧٦].

إما (طريق الرشد) وإما (طريق الغي) ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إما (البراءة من الطاغوت في الدنيا وتكفيره) وهذه ملة إبراهيم عليه السلام وأتباعه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤] وإما (موالاة الطاغوت في الدنيا وتكفيره ولعنه في الآخرة) ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥)﴾ [العنكبوت: ٢٥].

ولذلك سيكون أسمى أمانيهم أن يرجعوا إلى الدنيا لتحقيق ذلك والاستمساك بعروة النجاة الوثقى قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)﴾ [البقرة: ١٦٧] ولكن هيهات هيهات، فقد فات الأوان وما من رجعة إلى الدنيا.. إما

(عبادة الله) وإما (عبادة الطاغوت)! ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)﴾ [يوسف: ٣٩].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: " إن الإنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يختار العبودية لله، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله" **مقدمة رسالة العبودية**.

فكل عبودية لغير الله كبرت أو صغرت هي في نهايتها عبادة للشيطان.. ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ [يس: ٦٠-٦١].

يشمل ذلك العرب الذين قال الله فيهم.. ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧)﴾ [النساء: ١١٧].

ويشمل كذلك كل عبادة لغير الله على مدار التاريخ... فلقد تغيرت ولا شك بعض مظاهر العبادة... فلم يعد هناك تلك (الإناث) التي كان العرب في شركهم يعبدونها، لكن عبادة الشيطان ذاتها لم تتغير، وحلت محل "(لإناث) القديمة أوثان أخرى، الدولة والزعيم والمذهب والحزب والقومية والعلمانية والديمقراطية والحرية الشخصية والفن والجنس... الخ.

عشرات من (الإناث) الجديدة غير تلك الإناث الساذجة البسيطة التي كان يعبدها العرب في الجاهلية الأولين تضفى عليها القداسات الزائفة وتعبد من دون الله ويطاع أمرها في مخالفة الله وفي تغيير خلق الله... وما تغيرت إلا مظاهر العبادة ولكن الجوهر لم يتغير إنه عبادة الشيطان! وعلى ضوء هذا الفهم الإجمالي لمعنى (الطاغوت) يتضح لنا المعنى الحقيقي لشهادة "لا إله إلا الله" الذي هو -كما سبق- الكفر بالطاغوت وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة.

فإن هذه القضية - بحق- قضية لا بد من أن تحسم أولا وهي مسألة لا يمكن تجاوزها ولو استغرق ذلك الدهر كله، أو الانشغال عنها بأي مسألة مهما عظمت أهميتها، قبل أن تعطى عليها إجابة صريحة صادقة من الناس كل الناس...﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(٣٩) ﴾] يوسف: ٣٩[.

***وقد جاءت في القرآن مرادفات لكلمة (الطاغوت):**

١-(الأرباب): ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)﴾ [يوسف: ٣٩].

٢-(الآلهة): ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)﴾ [ص: ٦].

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣)﴾ [الأنبياء: ٤٣].

٣-(الأنداد) ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٤-(الأمثال) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾ [النحل: ٧٤].

٥-(الأوثان) ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

٦-(الشركاء)﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾ [الرعد: ١٦].

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧].

٧-(أئمة الكفر) ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)﴾ [التوبة: ١٢].

*** فما أهم الطواغيت والآلهة والأرباب والأنداد والشركاء وأئمة الكفر والأوثان والأمثال اليوم في عصرنا التي تعبد من دون الله؟**

الجواب: من أهم الطواغيت اليوم في عصرنا الذين يجب أن نعلمهم ونجتنبهم ونحذر الناس منهم ونكفر بهم ونجاهدهم ونتبرأ منهم وأن نظهر لهم العداوة والبغضاء كما أراد الله منا ذلك: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

١-أمريكا الصليبية.

٢-الحكام والحكومات المبدلة للشريعة.

٣-الديمقراطية والأحزاب المنضوية تحتها.

٤-الدستور (الوضعي).

٥- أعضاء مجلس النواب (المجلس التشريعي).

٦-قضاة المحاكم الوضعية (المحكمة التجارية، المحكمة العسكرية، المحكمة الجزائية،...).

٧-قوانين هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وحقوق الإنسان والقوانين الدولية.

٨- السحرة والكهان.

٩- رؤوس الضلالة من علماء ومفكرين الذين يدعون الناس إلى الكفر ويزينونه لهم كـ(مشايخ الرافضة والصوفية ومنظري المذاهب الهدامة).

وتفصيل بيان طاغوت (الحكام والحكومات المبدلة للشريعة- الديمقراطية والأحزاب المنضوية تحتها- الدستور (الوضعي)- أعضاء مجلس النواب (المجلس التشريعي) - قضاة المحاكم الوضعية (المحكمة التجارية، المحكمة العسكرية، المحكمة الجزائية،...) -قوانين هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وحقوق الإنسان والقوانين الدولية، في الرسالة الثانية: أيهما تقدم التوحيد أو المصلحة؟

***لماذا الناس يعدلون من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت؟**

الجواب: قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)﴾ [يس: ٧٤-٧٥].

فيتبين من هاتين الآيتين الكريمتين أن الذين كان يحسبهم الناس آلهة لأنفسهم كانوا يظنون بهم أنهم أولياؤهم وحماتهم في النوائب والشدائد وأنهم يكونون بمأمن من الخوف والنقص إذا احتموا بجوارهم.

لكن كما قال الله عز وجل ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)﴾ [هود: ١٠١].

فهل من معتبر؟! قال شيخ الإسلام رحمه الله: " قال تعالى: " فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين " وقال تعالى: " لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا " وقال إبراهيم لأبيه آزر: " أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين " فالمخلوق ليس بإله في نفسه لكن عابده اتخذه إلها وجعله إلها وسماه إلها، وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره، كما أن الجاهل إذا اتخذ إماما ومفتيا وقاضيا كان ذلك باطلا؛ فإنه لا يصلح أن يؤم ولا يفتي ولا يقضي، وغير الله لا يصلح أن يتخذ إلها يعبد ويدعى؛ فإنه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد".

*صفة (الكفر بالطاغوت): له صفتان: الصفة الأولى: وهي (فرض عين)** على كل المسلمين الصغير والكبير والذكر والأنثى والحضري والبدوي وهي (اجتناب الطاغوت) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: ٣٦].

فكما أن (الإيمان): اعتقاد وقول وعمل، فكذلك (الكفر) بالطاغوت (اعتقاد وقول وعمل):

بغض الطاغوت في القلب، واجتنابه باللسان فلا يمدحه ولا يثني عليه، ويجتنبه بجوارحه، وله صور:

١- فلا يناصرهم بقول أو فعل ولا يكون جنديا لهم، قال تعالى﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣)﴾ [هود: ١١٣].

٢- ويجتنبهم ويعتزلهم: قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

فما وهبه الله إياه من النبيين الصالحين كان ببركة اعتزاله للطواغيت ومن يعبدونهم من دون الله، ولا يُرى للعقيم دواء إن أراد البنين الصالحين، كالتقرب إلى الله باعتزال الطواغيت والكفر بهم.

وأيضا: لما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: "فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا "من إسحاق ويعقوب" جَعَلْنَا

نَبِيًّا " فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين.

٣- عدم مخالطتهم والجلوس معهم وقت كفرهم وسخريتهم بالإسلام ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ [النساء: ١٤٠].

الصفة الثانية: (فرض كفاية) إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وهي (الصدع بملة إبراهيم عليه السلام) ويكون ذلك:

١- بالصدع بتكفيرهم.

٢- والبراءة منهم قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: "قل يا أيها الكافرون.." فلا بد من مخاطبتهم بصفة الكفر.

٣- بغضهم وإظهار العداوة ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

تأمل قوله (بدا) الذي يفيد غاية الظهور والوضوح، وتقديم العداوة التي مكانها الجوارح الظاهرة على البغضاء الذي مكانه القلب، وهذا يدل على أهمية إظهار العداوة والبراءة منهم إظهارا لا لبس فيه ولا مواربة ولا غموض، إذ لا يكفي إضمار البغضاء لهم في القلب ثم نحن في الظاهر مسالمون لهم متوددون..!

٤- تسفيههم هم وآلهتهم وفضحها وتعريتها ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)﴾ [الأنبياء: ٦٠].

٥- ويكون بجهادهم وقتالهم عند توفر الاستطاعة.. قال تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢].

وليحذر الذين يصفون الصدع بـ(ملة إبراهيم عليه السلام) بأنه يضر بالدعوة وأنه خلاف الحكمة وأنه سفه! فإن الله الحكيم الخبير قد تكفل بالرد عليهم ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

*إذا كان الصدع بالحق، وتبينه للناس، وتحذير الناس من الوقوع في الكفر، سينفر عنّا الناس فتأمل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاءه عتبة بن ربيعة وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب ورأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون، فقال عتبة بن ربيعة للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا ابن أخي! إنك منا حيث قد علمت من السعة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم...".

فكل ما تعيبه عليه قريش هي هذه الأشياء فقط:

الأول: أنه فرّق جماعتهم، فبعد أن كان الجميع يعبدون الأوثان تفرق الناس وصار منهم من يعبد الأوثان ومنهم من يوحد الله عز وجل.

والثاني: أنه سفه أحلامهم، واتهم عقلاءهم، وضلل رأيهم.

والثالث: أنه كان يعيب آلهتهم، ويطعن في دينهم، ويبين بطلانها وضلال متّبعيها.

والرابع: وهو موطن الشاهد أنه كان يكفّرهم، بل ويكفّر مَن مضى مِن آبائهم الذين لم يَرَهم بأم عينه.

ولنا أن نتساءل: أليس تكفيره لهؤلاء العرب الجاهلين ينفر الناس عن دعوته، ويعطي المبرر لقريش لتفتك به وبأصحابه وتذهب بدعوته؟!

بل؛ وما الفائدة العائدة على الدعوة من تكفير من مضى من آبائهم، مع ما هم عليه من إكبار وإعظام وإجلال لمقام الآباء؟! ومع ما فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ضعف هو وصحابته الكرام رضي الله عنهم، ألم يكن الأجدى بهم السكوت عن تكفير الأموات ليسلموا من بطش الأحياء وهم مستضعفون مضطهدون مطاردون؟! طبعًا هذه التساؤلات التي يطرحها الكثير من أصحاب الأقيسة العقلية، والتقديرات الفاسدة للمصالح والمفاسد.

أخي الكريم! إن حكم التكفير هو حكم شرعي، يجب أن لا نستحيي من ذكره، ولا نكتمه عمن يريد أن يعرف حقيقة هؤلاء القوم.

بقي في أن أشير إلى نقطة مهمة، تتردد كثيرًا على لسان البعض: "أن هذا الرأي منزلق خطير وتكفير لآلاف المسلمين".

فإنه لا يوجد أحد من علماء المسلمين ولا طالب علم يقول: إذا بلغت نسبة الردة في الناس إلى عدد معين فإن ذلك يوجب التوقف عن التكفير، أو أن ذلك مانع لعدم إنزال حكم الردة عليهم، أو أنه دليل على خطأ الحكم الصادر بحقهم! بل الكل مجمع على أن العبرة بالنواقض المرتكبة التي توقع صاحبها في الردة، لا بالنظر إلى عدد المرتكبين وكثرتهم.

ولو رجعنا إلى سيرة السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين سنجد أنهم قد نهجوا هذا النهج، فعندما ارتدت العرب ولم يبقَ على الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة وأهل مكة وأهل جواثى من أهل البحرين؛ لم يتوقفوا في إنزال حكم الردة عليهم، بل وجدنا الصديق رضي الله عنه قد جهز لقتالهم جيوشًا، وهذا إن دل فإنما يدل على أن هذه الردة كانت جماعية، وبأعداد ضخمة، ولم يمنعهم كثرة عددهم - والتي تصل إلى مئات الآلاف - من إنزال حكم الردة عليهم، بل في معركة واحدة وهي موقعة اليمامة مع المرتدين من بني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب قتل المسلمون منهم ما يزيد عن عشرين ألف رجل، كما في "تاريخ الطبري" و"البداية والنهاية" لابن كثير.

وفي عصرنا الحديث، وجدنا ردة كبيرة وبأعداد وفيرة - تقدر بالآلاف أيضا - ممن يعرف بصحوات العراق، ورغم ذلك لم يتوقف أهل العلم من مشايخ الجهاد عن إصدار حكم الردة عليهم، بل ولم يتوقفوا في قتالهم.

الرسالة السابعة: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾[٧]

قال السعدي رحمه الله: " أي: قل يا أيها الرسول: " أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا" أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه، فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر.

(٧) [الأنعام: ١١٤].

"الَّذِي أَنزلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلا " أي: موضَّحا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكما ولا أقوم قيلا؛ لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة" اهـ.

واعلم أن الحكم بين الناس فيه صفة العلو والقهر والملك، وانقيادهم للحكم فيه معنى الذل والخضوع والاستسلام، وهذا هو معنى العبودية، فإن العبادة مأخوذة من التعبد وهي التذلل والخضوع، يُقال طريق معبّد أي مذلل، وعلى هذا فلا يجوز ولا يصح أن يكون القهر العلو على الخلق إلا لله، ومِن علوه سبحانه على خلقه الحكمُ والفصل بينهم، ولا يجوز أن يكون الخضوع والذل والاستسلام من المخلوقين إلا لخالقهم سبحانه، ومن الذل والخضوع له سبحانه الذل والخضوع لحكمه وشرعه. فمن وضع القوانين المخالفة لشرع الله وأمرَ بالحكم بها والتحاكم إليها وألزم الناس أن يخضعوا لها ويستسلموا لها فإنه ينازع الله في علوه وملكه وقهره وربوبيته وعبادته وتشريعه وهو بذلك طاغوت جعل من نفسه ندّاً لله، والذي يخضع ويذل ويستسلم ويرضى بحكمه عابدٌ له من دون الله.

من الذي يستحق أن يحكم ويشرّع ويأمر وينهى؟! قال تعالى: "ألا له الخلق والأمر"فكما أن له الخلق، فكذلك له الأمر والتشريع، وهو تبارك وتعالى خالق العباد، وهو أعلم بما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنه سبحانه له الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره"! وقال تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)﴾ [غافر: ١٢-١٦].

أي يوم يكون الناس قد انقشعت الحجب عنهم، ولا يخفى على الله خافية من أمرهم، ينادي المنادي: لمن الملك اليوم؟ ولا يكون الجواب إلا أن الملك لله الذي غلبت سلطته جميع الخلق، وأحسن ما يفسر هذه الآية ما رواه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر "وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون" ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هكذا بيده ويحركها،

يقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبرُ حتى قلنا: ليخرَّنَّ به".

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)﴾ [القصص: ٧٠-٧٢].

فالذي يقتضيه توحد السلطة العليا أن يكون جميع ضروب الحكم والأمر راجعة إلى مسيطر قاهر واحد، وألاّ ينتقل منه جزء من الحكم إلى غيره، فإنه إذا لم يكن الخلق إلا له ولم يكن له شريك فيه، وإذا كان هو الذي يرزق الناس ولم تكن لأحد من دونه يد في الأمر، إذا كان هو القائم بتدبير نظام هذا الكون وتسيير شؤونه ولم يكن له في ذلك شريك، فما يتطلبه العقل ألاَّ يكون الحكم والأمر والتشريع إلا بيده كلك ولا مبرّر لأن يكون أحد شريكاً له في هذه الناحية أيضاً، وكما أنّه من الخطأ أن يكون أحد غيره مجيباً لدعوة الداعي وقاضياً لحاجة المحتاج، ومجيراً للمضطر في دائرة ملكوته في السموات والأرض، فمن الخطأ والباطل كذلك أن يكون أحد غيره حاكماً مستقلاً بنفسه، وآمراً مستبداً بحكمه، وشارعاً مطلق اليد في تشريعه، إن الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وتسخير الشمس والقمر، وتكوير الليل والنهار والقضاء والقدر، والحكم والملك، والأمر والتشريع.. كل أولئك وجوه مختلفة للسلطة الواحدة، ومظاهر شتى للحكم الواحد، والحكم والسلطة لا يقبل شيء منهما التجزئة والتقسيم البتة.

***لله حقوق وخصائص لا يشاركه فيه أحد:**

١-(الربوبية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه مسلم بإسناده عن العباس بن عبد المطلب: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قال رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وجبت له الجنة" أخرجه ابن حبان والحاكم عن أبي سعيد بإسنادٍ صحيح(صحيح الجامع الصغير).

فالله سبحانه هو الذي خلق الخلق وهو مالكهم وهم عبيده وهو أعلم سبحانه بما يُصلح أمورهم ويُقيم حياتهم، و(الرب) هو السيد والمالك والمصلح والمدبر والمربي، فالسيد هو الذي يحكم في عبيده، والمالك والمدبر هو الذي

يُدير أمور مملوكيه ويفصل بينهم، والمصلح هو الذي يصلح شؤون خلقه ويُقيمها على أكمل وجه، والمربي هو الذي يربي خلقه بنعمه، ومن أعظم نعمه أن يتولى الفصل بينهم والحكم بينهم بما تستقيم به أمور معاشهم ومعادهم. ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله- جل وعلا- بالخلق والأمر بقسميه: الكوني والشرعي؛ لأن الذي أوجب الرضا بقدره هو الذي أوجب التحاكم إلى شرعه، وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحده بالسيادة العليا والتشريع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه، ومن سوَّغ للناس إتباع شريعة غير شريعته فهو كافر مشرك.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ [التوبة: ٣١].

وقد أخرج **الإمام أحمد والترمذي** عن عدى ابن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية: "اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ" قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقالصلى الله عليه وسلم: "بلى إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم وذلك عبادتهم إياهم".

فلم تكن الربوبية في بني إسرائيل في جانب الخلق أو القضاء الكوني، بل كانت في جانب الهداية والأمر الشرعي، فكان الأحبار والرهبان يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم على ذلك، ويتركون تحريم التوراة وتحليلها إلى تحريم هؤلاء وتحليلهم فاتّخذوهم بذلك أرباباً من دون الله.

إن أدنى درجات الرضا بالله رباً والتي ينجو بها المرء من الشرك الأكبر تشمل مما تشمل الإقرار لله- عز وجل- بالتفرد بهذا الحق، وعقد القلب على أن التحليل والتحريم والتشريع المطلق لا يكون إلا لله - جل وعلا- وحده، فكما أن الخلق كله لله لا ينازعه أحد، فإن الأمر كله لله لا يشاركه فيه أحد، ومن زعم لنفسه شيئاً من ذلك فقد أشرك بربه العظيم ضرورة، لأن المنازعة في الأمر كالمنازعة في الخلق ولا فرق، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأن الذي قال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]. هو الذي قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وعلى هذا فإن من يَردّ على الله أمره في هذا العصر وفي كل عصر، أو يقف معترضاً على شرائعه ويسعى في تعطيلها، أو يسوّغ إتّباع أحد من دونه فإنه يكون قد كفر بربوبية الله عليه وابتغى لنفسه رباً من دون الله.

٢-**(السيادة)** عن مطرف قال: قال أبي (عبد الله بن الشخير رضي الله عنه): انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنت سيدنا قال: "السيد الله". قالوا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طَولاً. قال: فقال: "قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان" **رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.**

قوله" "السيد الله" أي: السؤدد على الحقيقة إنما هو لله عز وجل، فهو المالك الحاكم؛ لأنه المتصف بذلك على الإطلاق، فهو الذي الخلق خلقه، والملك ملكه، وهو المتفضل بكل النعم، وهو الذي يتصرف في الخلق كيف يشاء ويتولى أمرهم ويسوسهم.

وقوله "ولا يستجرينكم الشيطان" أي: لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً - أي: رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح، فنهاهم عنه.

يريد: تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله، تنطقون عن لسانه.

٣-٤- (الأمر والنهي) قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤]

والأمر في الشرع يأتي بمعنيين: الأول: الأمر الكوني، وهو الذي به يدبر شؤون المخلوقات، وبه يقول للشيء: كن فيكون، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [يس: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ [القمر: ٥٠].

الثاني: الأمر الشرعي، وهو الذي به يفصّل الحلال والحرام والأمر والنهي وسائر الشرائع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [السجدة: ٢٤].

وإذا كانت البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في عموم الخلق أو الأمر بمفهومه الكوني، فقد حفل تاريخها بمن نازع الله في جانب الأمر الشرعي وادعى مشاركته فيه، فقد حكى لنا القرآن الكريم عمن قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ومن قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾ [غافر: ٢٩].

ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله جل وعلا بالخلق والأمر بقسميه: الكوني والشرعي، وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحده بالسيادة العليا والتشريع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه.

٥-٦-(التحليل والتحريم) قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾ [يونس: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته **(التسعينية)**: "والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله فمن عاقب على فعل أو ترك، بغير أمر الله ورسوله، وشرع ذلك ديناً (أي جعله شرعاً متبعاً) فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب، وهو ممن قيل فيه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

٧- (التشريع) قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فقد سمّى الله المشرّع شريكاً وسمّى ما شرّع ديناً، وأصل كلمة الدين تعني الخضوع، وهكذا حال المطيع لشرع غيره فإنّما هو خاضع له، وهو معنى الدين، فهذه الآية جامعة لهذا الباب وهو تسمية المشرّع إلهاً، وتسمية الشرع الذي شرعه ديناً، وتسمية الطائع له مشركاً.

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله في **(أضواء البيان)**: "ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أم كونية قدرية، من خصائص الربوبية.. كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً، وأشركه مع الله" اهـ.

٨-الحكم: قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

فقد سمّى الله الحكم عبادة، وسمّى ما يُحكم به ديناً، فمن حكّم الله في كلّ أمر فقد عبده واتّخذ دينه ديناً، ومن حكّم الطاغوت في أيّ أمرٍ فقد عبده واتّخذ حكمه ديناً.. إن رد الأمر كله إلى الله واتخاذه وحده حكماً في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يصرف شيء منها لغيره، وهذا هو ذات الدين القيم الذي لا يرضى الله تعالى سواه وإن جهله أكثر الناس على مدار التاريخ.

وعن شريح بن هانئ عن أبيه هانئ رضي الله عنه: "أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه وهم يكنون هانئا أبا الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم" **رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني**.

فـ(الديمقراطية) و(أعضاء مجلس النواب) و(الدستور) و(قوانين وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وحقوق الإنسان والقانون الدولي) وهؤلاء يدخلون تحت قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: " (الثاني) الحاكم الجائر المغيّر(المشرع) لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ [النساء: ٦٠]اهـ.

و(قضاة المحاكم الوضعية) و(الحكام والحكومات المبدلة لشريعة الله) وهؤلاء يدخلون تحت قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "(الثالث) الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤]اهـ.

فكل هؤلاء (طواغيت) يعبدون من دون الله؛ لادعائهم هذه الخصائص مع الله، وأما (الأحزاب المنضوية تحت لوائها) و(المشاركون في هذه الانتخابات الديمقراطية) و(الموافقون لهذه القوانين والقرارات المخالفة للإسلام) كل هؤلاء مشركون بالله لزعمهم أن معه شريكا في (الربوبية والسيادة والأمر والنهي والتحليل والتحريم والتشريع والحكم) ومن كان جاهلا فليعلم! ومن كان نائما فليستيقظ!

***ونحب أن ننبه إلى تنبيه مهم:** أنه لا يجوز تكفير عوام المسلمين الذين يشاركون في هذه الانتخابات والأحزاب إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة؛ وذلك لغربة الدين في هذه المسألة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾ [الأنفال: ٤٢].

أما هؤلاء الطواغيت والأرباب فإنهم لا يُعذرون؛ لأن هذا من الشرك الواضح المستبين المناقض لأصل التوحيد الذي بعثت به الرسل كافة، فالجاهل به جهله جهل إعراض عن تعلم أهم مهمات الدين التي لا يجوز الجهل بها، مع تيسير تعلمها وعدم تعسره، وأنه لا يوجد عاقل يجهل أن التشريع والحكم من خصائص الله التي يجب أن يفرد بها ويوحّد، وقد روى الترمذي وغيره وهو حسن بمجموع طرقه عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول

الله إنا لسنا نعبدهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرّم الله فتحلونه؟" قال: بلى. قال: "فتلك عبادتهم" **وقد حسنه شيخ الإسلام في الفتاوى (٤٧/٧)**.

. فقد سمى الله(المشرعين): أربابا، وسمى الذين يقرون لهم بذلك: مشركين وسماهم النبي صلى الله عليه وسلم عبّادا لهم. إذ لا يعرف في الشريعة تفريقها بين المتناظرين والمتماثلين...((أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر))؟ وإنما الذي عذرنا به عوام المسلمين من كان جاهلاً بحقيقة هذا المجلس التشريعي والنظام الديمقراطي وطبيعة عمل أعضائه، فهذا يجب إقامة الحجة عليه وتعريفه بحقيقة وظيفة من ينيبهم ويختارهم، فإن أصرّ على ذلك كفر... ولا يبادر إلى تكفيره قبل إقامة الحجة والبيان.

يقول شيخ الإسلام: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين —وإن أخطأ وغلط- حتى تقوم عليه الحجة، وتبين له المحجّة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة" أهـ. **مجموع الفتاوى (٢٥٠/١٢)**.

***وصف الله الحكم بغير الله ما أنزل الله والإعراض عن حكم الله ورسوله(كالديمقراطية) بأبشع أوصاف الذم:**

١-(الكفر)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤].

٢-(الظلم)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾ [المائدة: ٤٥].

٣-(الفسوق)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾ [المائدة: ٤٧].

وظاهر سياق تلك الآيات يدلّ على أن المعنى المقصود أصلاً بالكفر والظلم والفسق فيها، هو الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، كما يوضح ذلك سبب نزولها، حيث إنها نزلت في اليهود-كما سيأتي إن شاء الله-كما جاء في رواية البراء بن عازب رضي الله عنه في سبب نزول تلك الآيات: "في الكفار كلها".

٤-(نفي الإيمان): قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥].

قال شيخ الإسلام في (**الفتاوى ٤٧١/٢٨**): "فكل من خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع

ما شجر بينهم من أمور الدين والدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة".

ويقول ابن حزم رحمه الله تعالى في (**الفصل (٢٩٣/٣)**) عن هذه الآية: "فهذا هو النص الذي لا يحتمل تأويلاً ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان" اهـ.

ويدل على هذا سياق الآيات في السورة نفسها وقبل هذه الآية بقليل، فإنها نافية لأصل الإيمان.. كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

وذكر الإيمان باليوم الآخر في الآية يقطع شبهة القول بكمال الإيمان لأنه شعبة من شعب الإيمان الرئيسة التي يزول بزوالها أصل الإيمان ومنه قوله تعالى قبلها أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

وهكذا فسياق الآيات كلها قبل آية الباب هو حول انتفاء أصل الإيمان لا كماله، ثم جاءت هذه الآية نصاً في الموضوع نفسه.. فالقائل بهذا مستصحب لأصل الخطاب المتضمن في السياق.. والمخرج لها عن ذلك خارج عن هذا الأصل مطالب بالدليل..

أما (الحرج) المذكور في الآية فهو ليس قيداً لنفي حقيقة الإيمان هنا، أو قيداً في كفر من امتنع من التسليم لحكم الله، وإنما وجوده زيادة في الكفر.. فالمتحرّج من شرع الله كافر سواء حَكّمَه أم لم يُحكّمْه.. والممتنع من التسليم لحكم الله كافر وإن لم يظهر التحرّج منه.. وقد يجتمع الكفران في شقي فيكون كفره كفراً مركباً.. فهو إذن زيادة حكم لا قيدٌ للحكم..

يقول الجصاص في (أحكام القرآن) عن هذه الآية بعد أن ذكر بعض معاني الحرج ومنها الضيق أو الشك: "وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك.. أو ترك القبول والامتناع من التسليم.. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم، لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي ﷺ فليس من أهل الإيمان" اهـ.

ويقول ابن حزم في (الفِصَل) عن الآية ذاتها (٢٣٥/٣): "فنص تعالى وأقسم بنفسه أنه لا يكون مؤمناً إلا بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما عَنّ، ثم يسلم بقلبه ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى، فصح أن التحكيم شيء غير التسليم بالقلب، وأنه هو الإيمان الذي لا إيمان لمن لم يأت به" اهـ.

٥-٦- (النفاق)و(الضلال البعيد) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

٧-(الشرك) قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ [الكهف: ٢٦].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "اعلموا أيها الإخوان: أنَّ الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما البتة فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله وتشريعاً غير تشريع الله - أو غير ما شرعه الله - وقانوناً مخالفاً لشرع الله من وضع البشر مُعْرِضاً عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله... من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه! فهما واحد، كلاهما مشرك بالله، هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه، كلهما سواء".

٨-(الجاهلية) قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ [المائدة: ٥٠].

و(المجتمع الجاهلي) قد يتمثل في صور شتى -كلها جاهلية-: قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود الله تعالى، ويفسر التاريخ تفسيراً مادياً جدلياً، ويطبق ما يسميه (الاشتراكية العلمية) نظاماً وقد يتمثل في مجتمع لا ينكر وجود الله تعالى، ولكن يجعل له ملكوت السماوات، ويعزله عن ملكوت الأرض، فلا يطبق شريعته في نظام الحياة، ولا يحكِّم قيمه التي جعلها هو قيماً ثابتة في حياة البشر، ويبيح للناس أن يعبدوا الله في المساجد، ولكنه يحرِّم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة الله في حياتهم، وهو بذلك ينكر أو يعطل ألوهية الله في الأرض، التي ينص عليها قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ومن ثم لا يكون هذا المجتمع في دين الله الذي يحدده قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].. وبذلك يكون مجتمعاً جاهلياً، ولو أقر بوجود الله سبحانه ولو ترك الناس يقدمون الشعائر لله، في المساجد.

(المجتمع الإسلامي) - بصفته تلك - هو وحده (المجتمع المتحضر)، والمجتمعات الجاهلية - بكل صورها المتعددة - مجتمعات متخلفة! ولا بد من إيضاح لهذه الحقيقة الكبيرة. حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده - متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية - تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر..

وتكون هذه هي (الحضارة الإنسانية) لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان، ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع.. ولا حرية - في الحقيقة - ولا كرامة للإنسان - ممثلاً في كل فرد من أفراده - في مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون! ولا بد أن نبادر فنبيّن أن التشريع لا ينحصر فقط في الأحكام القانونية - كما هو المفهوم الضيق في الأذهان اليوم لكلمة الشريعة - فالتصورات والمناهج، والقيم والموازين، والعادات والتقاليد.. كلها تشريع يخضع الأفراد لضغطه. وحين يصنع الناس - بعضهم لبعض - هذه الضغوط، ويخضع لها البعض الآخر منهم في مجتمع، لا يكون هذا المجتمع متحرراً، إنما هو مجتمع بعضه أرباب وبعضه عبيد - كما أسلفنا - وهو - من ثم - مجتمع متخلف.. أو بالمصطلح الإسلامي.. (مجتمع جاهلي)!

٩-(الردة) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٥-٢٦].

١٠- اتباع الهوى: قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: " وقوله: "ولا تتبع أهواءهم"؛ أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله؛ ولهذا قال: "ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق"؛ أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء" أهـ.

***وقد أخبرنا الله بالسبب الحقيقي الذي يجعل هذا الكافر الظالم الفاسق الجاهلي المرتد المشرك المنافق الضال المتبع هواه عديم الإيمان** يعرض عن التحاكم إلى شريعة الله ويرضى بالتحاكم إلى الديمقراطية والدستور ومجلس الأمن وحقوق الإنسان! "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"؟!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾ [النور: ٤٨-٥٠].

قال ابن كثير رحمه الله: "ولهذا قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ [النور: ٥٠] يعني: لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مَرَض لازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيّا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم، وما هو عليه منطو من هذه الصفات".

الرسالة الثامنة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨]

قال سيد رحمه الله: "إن (شريعة الله) تعني كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية.. وهذا يتمثل في أصول الاعتقاد، وأصول الحكم، وأصول الأخلاق، وأصول السلوك، وأصول المعرفة أيضاً، ويتمثل في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والأصول التي تقوم عليها، لتتمثل فيها العبودية الكاملة لله وحده، ويتمثل في التشريعات القانونية، التي تنظم هذه الأوضاع".

ويقول رحمه الله: "لعله يثار هنا سؤال: "أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم؟!) ومرة أخرى نرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجيب عليه: " أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟" "وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"! إن مصلحة البشر متضمنة في شرع الله، كما أنزله الله، وكما بَلَّغه عنه رسول الله.. فإذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرع الله لهم، فهم..

أولاً: ''واهمون'' فيما بدا لهم. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥)﴾ [النجم: ٢٣-٢٥].

وهم ثانياً: ''كافرون ''! فما يدعي أحد أن المصلحة فيما يراه هو مخالفاً لما شرع الله، ثم يبقى لحظة واحدة على هذا الدين! ومن أهل هذا الدين!" اهـ.

***الحكم بغير ما أنزل الله: ينقسم إلى قسمين: الأول: كفر أكبر مخرج من الملة وله خمس صور:**

(١)- التبديل أو التقنين أو التشريع المخالف لشريعة الله (المشرّع).

(٢) الذي يوافقه على تشريعه: قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وروى **الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق**، عن عدي بن حاتم، رضي الله عنه، أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثمَّ منَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، ورَغَّبته في الإسلام وفي القدوم على

---

(٨) [المائدة: ٤٤]

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عَدِيّ المدينة، وكان رئيسا في قومه طيئ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدَّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عَدِيّ صليب من فضة، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: "بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم".

فقد سمى الله (المشرعين): أربابا، وسمى الذين يقرون لهم بذلك: مشركين وسماهم النبي صلى الله عليه وسلم عبّادا لهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١].

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي رحمه الله أنه سئل عن قوله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١] فقيل: تزعم الخوارج أنها في الأمراء! قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلوا منه – يعني الميتة – وأما ما قتلتم أنتم فتأكلون منه! فأنزل الله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١] قال: "لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون".

فجعل سبحانه طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرّم الله: شركًا به سبحانه.

ومن معاني (**العبودية**) في اللغة: الطاعة مع الخضوع: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)﴾ [المؤمنون: ٤٥-٤٧].

قال الإمام الطبري في **التفسير ١٩/١٨**: ""لنا عابدون": يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم، والعرب تسمي كل من دان الملك عابداً له" اهـ.

فكل من انقاد لشيء على جهة الحب والخوف استقلالا فهو عابد له، وضابطه هو ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط" ذلك لأن

نيته وهمته دون سواه، فهو عامل له، ساعٍ من أجله، فالعبادة ليست في أعمال النسك فقط كالصلاة والسجود والدعاء بل هي أشمل من ذلك وأعم.

فسعي المؤمن في صلاته وعبادته هو تحصيل رضى الله تعالى، فإن حصلها فهي غايته لا يطلب سواها، وإن فاتته الطاعة وهي سبب رضى الله تعالى حزن، ومن سعى لدرهم أو مدح في صلاته وعبادته كالجهاد ونشر العلم وغيرها فحصل مطلوبه رضيت نفسه وفرحت لما نالت من مطلوبها، وإن فاتها المطلوب حزنت وسخطت، فهذا هو الدليل على معبود الإنسان في عمله، وهو ضابط الرياء والإخلاص، وهو المعنى الحقيقي للخضوع القلبي والطاعة الباطنة، فإن من خضع لشيء أحبه حتى صار مطلوبه وهمته، يرى كل شيء فيه، يسير وجهته ويطلب رضاه ويتبع أثره.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في (**الفتاوى ٣٦٧/٣**): "والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله، فمن عاقب على فعل أو ترك بغير أمر الله ورسوله، وشرع ذلك دينا [أي جعله شرعاً متبعاً]، فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً، أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب، وهو ممن قيل فيه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]" **مجموع الفتاوى، ١٤/٥**.

والمتأمل في حال من يشرعون شرعاً مخالفاً لشرع الله، يحكمونه في الناس، أن فعلهم هذا لابد وأن يقترن بفساد اعتقادي، وذلك مما نبه إليه الأئمة الأعلام، ومن ذلك:

١- أن التشريع هو في حقيقته إعراض عن حكم الله ينافي الرضى والقبول والتسليم.

٢- والتشريع فيه تسويغ للخروج عن الشريعة وتجويز للحكم بغيرها في قليل أو كثير.

٣- وطاعة المشرعين، هو في الحقيقة شرك في الطاعة وهو من أنواع الشرك في الألوهية، فالطاعة يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى، وطاعة غيره تبع لطاعته، فلا يشرك المرء لا في العبادة ولا في الحكم والطاعة والتشريع ولا فرق بينهما.

٤- حق التشريع من التحليل والتحريم والأمر والنهي من خصائص الربوبية، وهذا الحق غير ممنوح لأحد من الخلق لا فرد ولا حزب ولا برلمان ولا هيئة من الهيئات، فمصدر الحكم هو الله وحده، ولذلك بين الله سبحانه، أن طاعة المشرعين بمثابة اتخاذهم أرباباً من دون الله.

٥- أن الإنسان - في الغالب - لا يعدل عن شرع الله فيختار شرعاً مخالفاً بشكل عام، إلا باعتقاد أن غيره أحسن أو أكمل أو مساو له.

وبذلك ندرك أن التشريع - وإن كان كفراً عملياً ظاهراً، من حيث إنه يقع بالجوارح الظاهرة، ومناط التكفير فيه هو الظاهر - إلا أنه في الحقيقة لابد وأن يرجع، أو يقترن بناقض اعتقادي من عدم الرضى والقبول لحكم الله أو تجويز الحكم بغيره، أو اعتقاد أن غيره أحسن منه ونحو ذلك.

(٣)- الحكم بهذه القوانين الكفرية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: "كل من حكم بغير شرع الله فهو: طاغوت" **تيسير الكريم الرحمن: (١/٣٦٣)**.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى ناقلاً عن إسحاق ابن راهويه رحمه الله تعالى: "قد أجمع العلماء أن من دفع شيئاً أنزله الله أو قتل نبي وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله؛ أنه كافر". التمهيد ٤/٢٢٦.

وتأمل أخي كلمة (وهو مقر).

قال محمّد حامد الفقّي رحمه الله: "ومثل هذا وشرّ منه من اتّخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدّماء والفروج والأموال ويقدّمها على ما علم، وتبيّن له من كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فهو بلا شكّ كافر مرتدّ إذا أصرّ عليها، ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أيّ اسم تسمّى به ولا أيّ عمل من ظواهر أعمال الصّلاة والصيّام والحجّ ونحوها" **فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد**.

وقال الشّيخ محمّد أمين الشّنقيطي رحمه الله: "وبهذه النّصوص السّماويّة التي ذكرنا يظهر غاية الظّهور أنّ الذين يتبعون القوانين الوضعيّة التي شرّعها الشّيطان على ألسنة أوليّاءه مخالفة لما شرّعه الله جلّ وعلا على ألسنة رسله صلّى الله عليهم وسلّم أنّه لا يشكّ في كفرهم إلاّ من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم".

***الرد على شبهة ما نسب لابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: (كفر دون كفر):**

١- إذا عرف سبب النزول عرف ما نوع الكفر، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: " ومعرفة " سبب النزول " يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".

فالآية أو الحديث قد يكون معناها خفياً إلا إذا عرفت سبب النزول، والأولى للمفسر أن يبدأ ببيان سبب النزول قبل بيان مناسبة الآية أو الحديث، فعن البراء بن عازب قال مر على النبى -صلى الله عليه وسلم- بيهودى محمما مجلودا فدعاهم -صلى الله عليه وسلم- فقال « هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ». قالوا نعم. فدعا رجلا من علمائهم فقال « أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ». قال لا ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد قلنا تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ». فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) إلى قوله (إن أوتيتم هذا فخذوه) يقول ائتوا محمدا -صلى الله عليه وسلم- فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) فى الكفار كلها) رواه مسلم.

ولا يعقل أن حبر الأمة وترجمان القرآن يقول عن كفر اليهود أنه (كفر دون كفر)!

قالت **(اللجنة الدائمة)(الفتوى رقم (٥٢٢٦)**: "أما نوع التكفير في قوله تعالى: " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ "فهو كفر أكبر" اهـ.

وللعلم: فاليهود قد (تواطؤوا أو اصطلحوا واجتمعوا) على حد للزنا غير حد الله وهي الألفاظ التي وردت في الأحاديث الصحيحة، وأنيط التكفير بها في أسباب نزول قوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" وليس في ذلك أنهم استحلوا.. أو جحدوا حدود الله أو أنهم قالوا أن تشريعهم أفضل أو أكمل.

فأخبر الله أن من لم يحكم بما أنزل الله أنه كافر، و(من) من صيغ العموم، فيعم حكمها كل من يتناوله لفظها.

فعمل اليهود يسمى تبديل وتشريع، ولا يستثنى من الحكم القطعي السابق إلا إذا كان الحاكم يحكم بشريعة الله ظاهرا وباطنا ولكنه حكم في واقعه أو نازلة بعينها بغير ما انزل الله لهوى في نفسه أو اتباعا لمصلحته مع اعتقاده

وجوب الحكم بما انزل الله واستشعاره الإثم فهذا هو المراد – إن صح عن ابن عباس رضي الله عنهما- يدل عليه إجماع أهل العلم في كون الحكم بغير ما أنزل الله أو التشريع من دونه كفرا مخرجا عن الملة وهم من لا يخفى عليهم قول ابن عباس **رضي الله عنهما** – إن صح-.

٢- إن صح قول ابن عباس **رضي الله عنهما** في هذه الآية فقد عارضه قول صحابي آخر هو البراء بن عازب رضي الله عنهما، حيث يقول: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا) **رواه مسلم**.

أي ليست في العصاة من المسلمين، فهي تتكلم عن الكفر المخرج عن الملة وليست في المعاصي والذنوب غير المكفرة.

وقد تقرر في الأصول: أن قول الصحابي ليس بحجة إذا عارضه قول صحابي آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن قال من العلماء أن قول الصحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عُرف نص يخالفه" أهـ. من **مجموع الفتاوى (١/٢٨٣)**.

٣- هب يا أخا التوحيد أن ابن عباس **رضي الله عنهما**، وهو بشر غير معصوم يصيب ويخطئ، أراد بذلك القول المنسوب إليه واقعتنا هذه – وهو محال كما عرفت إذ لم يكن لها مثيلٌ ساعتئذ – فهل نصادم بقول ابن عباس قول الله وقول الرسول وفي مسألة من مسائل التوحيد الذي بعثت بها الرسل كافة وهي الكفر بالطاغوت، شطر كلمة التوحيد؟؟ لا شك أن الإجابة على هذا يفهمها صغار الطلبة فضلاً عمن ينتسب إلى العلم والدعوة والدعاة، إذ لا حجة بشيء في ديننا إلا بقول الله وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم.

أوليس ابن عباس رضي الله عنهما نفسه هو القائل رداً على من احتج عليه في شأن متعة الحج بفعل أبي بكر وعمر، وهما من هما رضي الله عنهما!: "توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر".

ونقول تكراراً حاشا ابن عباس رضي الله عنهما أن يخلط أو يخبط أو يخالف في أصل من أصول الدين كهذا، وهو ترجمان القرآن.. ولكن المقصود التذكير بأن قول الصحابي ليس بدين ولا هو بحجة في دين الله عند النزاع.

٤-٥- أخرج ابن أبي حاتم والحاكم في "المستدرك" عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" قال: "كفر دون كفر".

و(هشام بن حجير) ضعفه أحمد وابن معين رحمهما الله، وهذا تفرد به هشام، وزيادة على ذلك فقد خالف غيره من الثقات، فذكره عبد الله بن طاووس عن أبيه قال سئل ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنزل اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ" قال (هي كفر) وفي لفظ (هي به كفر) وآخر (كفى به كُفْره) رواه **عبد الرزاق في تفسيره (١٩١/١) وابن جرير (٢٥٦/٦) ووكيع في أخبار القضاة (٤١/١) وغيرهم بسند صحيح** وهذا هو الثابت عن ابن عباس رضي الله عنه، فقد أطلق اللفظ ولم يقيّد، وقوله (هي كفر) واللفظ الآخر (هي به كفر) يريد أن الآية على إطلاقها.

لكنه روي (كفر دون كفر) موقوفاً على طاووس بسند صحيح.

٦- قول بن عباس رضي الله عنهما -إن صح- فلا يصح حمله على حكام اليوم؛ لأن ابن عباس قال ذلك في عهد الأمويين، ومن المعلوم أن الدولة الأموية كانت تحكم بشرع الله ولكن كان يحصل من بعض الأمراء جور في الحكم على طوائف من الناس، ولكنهم لم يؤخروا أحكام الشرع ويستبدلوها بغيرها، هذا لم يحصل منهم على الإطلاق، فإن استبدال أحكام الشرع بالقوانين الوضعية لم يحصل إلا في عهد التتار بعد موت ابن عباس بقرون، وأما حكام اليوم فقد نَحَّوا شرع الله وأتوا بالقوانين المخالفة ونصبوها للحكم بين الناس، وألزموا الناس بها، وبين المسألتين فرق كبير.

وأخيرا: رحم الله القائل: "لو كان ابن عباس رضي الله عنهما حيا لقال: كفر فوق كفر فوق كفر**!**".

قال محمد بن إبراهيم رحمه الله: "فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقصة؟**!**" اهـ.

الرد على شبهة: أن قوله تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأولَئِكَ هُمُ الكَافِرُون" نزلت في اليهود وهي خاصة بهم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على التتار: "فإن نصوص الكتاب والسنة الذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي أو بالعموم المعنوي، وعهود الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تتناول آخر هذه الأمة كما تناولت أولها" اهـ. **نقلاً عن الدرر السنية – جزء الجهاد ص(٨٤)**.

ويقول الشيخ عبد اللطيف أيضاً في جزء (مختصرات الردود) من الدرر: "من الأسباب المانعة عن فهم كتاب الله أنهم ظنوا أن ما حكى الله عن المشركين، وما حكم عليهم به ووصفهم به خاص بقوم مضوا وأناس سلفوا وانقرضوا ولم يعقبوا وارثاً، وربما سمع بعضهم قول من يقول من المفسرين: هذه نزلت في عبادة الأصنام، هذه نزلت في النصارى، هذه نزلت في الصابئة، فيظن الغُمْرُ أن ذلك مختص بهم، وأن الحكم لا يتعداهم، وهذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد وبين فهم القرآن والسنة" اهـ.

ولذلك كله فقد ثبت عن حذيفة بإسناد صحيح أنه استنكر دعوى الخصوصية في هذه الآيات فقد ذكرت عنده الآيات فقال رجل: إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة: "نِعْمَ الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة، كلا والله لتسلكن طريقهم قدَّ الشراك".

وذكر ابن كثير عن الحسن البصري أنه قال: "إن هذه الآية نازلة في أهل الكتاب، وهي علينا واجبة" اهـ.

فإن قيل: إن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يفضل القانون على حكم الله بل يعتقد أنه باطل فلا بد أن يستحل ذلك حتى نحكم بكفره! ويستدلون بكلام لشيخ الإسلام رحمه الله!

فيقال: هذا ليس بشيء ولا يغير من الحكم شيئاً! فإن عابد الوثن مشرك ومرتد عن الدين وإن زعم أنه يعتقد أن الشرك باطل ولكنه يفعله من أجل مصالح دنيوية قال تعالى: "وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً"، أما الاستدلال بكلام شيخ الإسلام رحمه الله فإن معنى الاستحلال عند شيخ الإسلام رحمه الله هو خلاف المعني الذي عليه الفقهاء والمتداول في كتبهم ألا وهو اعتقاد حل الحرام فإنه رحمه الله يضيف معنى آخر إليه ليزيل الإشكال في بعض كلامه والذي يوجد في بعض المواضع من كتبه قال رحمه الله في (الصارم المسلول ص ٥٢٢): "وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلا لها فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدا محضا غير مبني على مقدمة، وتارة يعلم أن

الله حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم، فهذا أشد كفرا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه.

ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمردا أو اتباعا لغرض النفس، وحقيقته كفر؛ هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك، ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، فهذا نوع غير النوع الأول وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع بل عقوبته أشد" اهـ.

فقوله رحمه الله: (فهذا نوع غير النوع الأول) أي: (اعتقاد حل المحرم) فالامتناع عن التزام الأحكام مع تصديقه بها يعده شيخ الإسلام رحمه الله كفرا بالاتفاق ويسميه استحلالا. والامتناع عن التزام الأحكام معناه (رفضها وترك الانقياد لها وعدم الرضى بها).

أما الاعتذار عن هؤلاء المشرعين المعرضين عن الدين بأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يقال عنه:

بأنّ المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار يشهدون الشهادتين ويصلون ويصومون ويحجون وليس هذا بنافع لهم، والذين يطوفون حول القبور ولها يصلون وينذرون ويذبحون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقد قال تعالى: "إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ" وليس هذا بنافع لهم.

(٤)- **التحاكم إلى شرائع الكفر**، وهو أن يحمل المرء نفسه حراً مختاراً على التحاكم إلى القوانين والمحاكم الوضعية، رغم توفر المحاكم الشرعية التي تحكم له بالشريعة، وتقدر على إنصافه ورد مظلمته..! والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ [النساء: ٦٠].

فاعتبر الله تعالى إيمانهم زعماً لا حقيقة له؛ وذلك بأنهم عدلوا عن التحاكم إلى شرع الله تعالى إلى التحاكم إلى الطاغوت.. وشرائع الطاغوت، رغم أنهم قد أمروا أن يكفروا به! ومن ذلك ما يفعله طواغيت الحكم في بلادنا

حيث تراهم يعدلون عن التحاكم إلى الشريعة.. ويحتكمون إلى شرائع الكفر المستوردة من الغرب الفاسد، أو الشرق الملحد.. وهذا زيادة منهم في الكفر والمروق! وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١].

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي رحمه الله أنه سئل عن قوله "وإن أطعتموهم إنكم لمشركون" فقيل تزعم الخوارج أنها في الأمراء! قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلوا منه – يعني الميتة – وأما ما قتلتم أنتم فتأكلون منه! فأنزل الله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١] قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون" فجعل سبحانه طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرّم الله: شركًا به سبحانه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قالوا: يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه! وأما ما قتل ربكم فتحرمونه! فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾".

قال سيد رحمه الله: "إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك، إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون طبيعة هذا الدين، فليقرؤوا القرآن كما أنزل الله وليأخذوا قوالبه بجد ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١]".

فإن قيل: أكثر بلاد المسلمين في هذا الزمان لا تحكم بالكتاب والسنة.. وإنما تحكم بالقوانين الوضعية المستمدة من الغرب أو الشرق، ومن أهواء القوم.. إضافة إلى مئات الملايين من المسلمين الذين يعيشون في بلاد الكفر والإلحاد.. وهؤلاء شاءوا أم أبوا معرضون للتحاكم إلى غير الكتاب والسنة.. فما حكم الشرع فيهم.. وهل يُحمل عليهم كفر من تحاكم إلى غير الكتاب والسنة المتقدم الذكر..؟!

الجواب: المسألة فيها تفصيل..

(١): أفادت النصوص الشرعية أن المتحاكم إلى غير الكتاب والسنة.. يكفر بأحد وصفين:

أ- أن يعدل عن التحاكم إلى الكتاب والسنة رغم توفره وقدرته على إتيان ذلك إلى التحاكم إلى الشرائع والقوانين الوضعية الأخرى. لقوله تعالى: " يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت" أي يتركون النبي صلى الله عليه وسلم.. ويتركون حكم الله ورسوله، ويعدلون عنه إلى حكم الطاغوت، وشرع الطاغوت.

ب- أن يرضى ويستحسن حكم غير الكتاب والسنة.. فهذا يكفر سواء باشر التحاكم، أو لم يباشر عملية التحاكم؛ لأن الرضى بالكفر كفر بلا خلاف بين أهل العلم.

(٢): الأصل في المسلم إن وقع في مظلمة أن يبذل جهده المستطاع في تحصيل حقوقه عن غير طريق التحاكم إلى هذه القوانين الوضعية..

(٣) فإن تعسر عليه ذلك، فإن كان من أهل العزيمة والتقوى أن يصبر المرء على مظلمته، من دون أن يلتجئ إلى تلك المحاكم.. وبخاصة إن كان من ذوي العلم والفضل، فالأخذ بالعزيمة في حقه أولى.

(٤) مجرد لجوء المسلم في الضرورات إلى كافر يحميه أو يجيره أو يرد مظلمته وينصره من كافر آخر، أو لدفع صائل فاجر لا يردعه ولا يرهبه إلا ذلك، في ظل عدم وجود سلطان وشوكة لشرع الله فليس هو أصلا من التحاكم في شيء.. أضف إلى هذا أن كثيرا من التهم والشكايات، تحل وتدفع بمجرد المراجعة والمثول وإزالة الإشكال، وقد تحل بصلح أو نحوه من التحكيم الذي لا حرج فيه وليس من التحاكم المكفر في شيء، فقد قال تعالى عن الصلح: "والصلح خير"، وقال فيما استثناه من النجوى الجائزة بين الناس: " أو إصلاح بين الناس ".

قال الحافظ في الفتح عند حديث رقم (٢٩٦١): "والصلح أقسام صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة.. والصلح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة إما في أملاك أو في المشتركات كالشوارع.. " أهـ.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: "أما بالنسبة لما انتهى عند قضاة العشائر فإن كان ذلك عن طريق الصلح ولم يتضمن هذا الصلح تحليل محرم أو تحريم حلال فالصلح صحيح، وإن كان ذلك بطريق الحكم فذلك غير صحيح، لأن المعروف عن مشايخ العشائر الجهل وعدم العلم بالأحكام الشرعية، فالتحاكم إليهم من باب التحاكم إلى الطاغوت" أهـ. من **فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن ابراهيم (٢٩٢/١٢)**.

فعلم من هذا أنه ليس كل مثول بين يدي أعداء الله أو محاكمهم يعد من التحاكم المكفر.

وهذا مما وسع الله تعالى فيه، وليس هو من التشريع الكفري بحال، ولا هو من الحكم بغير ما أنزل الله أو التحاكم إلى الطاغوت، وقد قال الفاروق رضي الله عنه: "إذا وسع الله فأوسعوا..." **رواه البخاري**.

(٥): الرجوع إلى المحاكم الوضعية وسجلاتها في المسائل الإدارية التنظيمية التي لا تُضاهي ولا تُخالف شرع الله تعالى، كتسجيل العقارات في سجلاتهم لتثبيت ملكيتها، أو تسجيل النفوس أو الزواج أو الطلاق في الدوائر الحكومية المختصة، للحصول على بقية الحقوق المدنية الضرورية للإنسان في هذا العصر.. كالبطاقة الشخصية، أو جواز السفر ونحو ذلك.. فهذه الأمور ومثيلاتها من الأمور التنظيمية الإدارية.. لا حرج فيها إن شاء الله، الأصل فيها الإباحة ما لم تتعارض مع تعاليم ومبادئ الشريعة.

(٦): أما في حال غياب المحاكم الشرعية.. وغياب السلطان المسلم الذي يفصل بين العباد بالحكم بما أنزل الله.. والقادر على إنفاذ حكم الله تعالى في المتخاصمين المتنازعين.. وغياب الرضى بحكم وشرائع الطاغوت.. وإضمار الكراهية والبغض لها.. والكفر بها.. وإضمار المحبة لحكم الله تعالى وشرعه.. ثم بعد ذلك لو حصل نوع تحاكم إلى تلك المحاكم الوضعية القائمة والمشْرَعة في بلاد المسلمين وغيرها.. أو حصل نوع تحصيل للحقوق أو نوع دفع للمظالم عن طريق غير المسلمين.. تحت ظروف الإكراه.. والضرورة.. ومن قبيل دفع الضرر الأكبر.. ودفع الظلم والأذى عن النفس والعِرض، والمال.. وتحصيل ما يمكن تحصيله من الحقوق المغتصبة التي لا يمكن تحصيلها إلا من خلال هذا الطريق.. وعلى قاعدة مالا يدرك جله لا يُترَك كله.. وقاعدة " ما أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم "، وقاعدة (إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إليه)، وقاعدة (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)، وقاعدة (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً)، وقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات)، وقاعدة (لا ضرر ولا ضرار.. والضرر يُزال)، وقاعدة (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) فمن كان كذلك–فلا بأس إن شاء الله–.

قال صّديق حسن خان رحمه الله في (**العبرة فيما ورد في الغزو والشهادة والهجرة**): "ومن حُكِمَ عليه بغير الشريعة المحمدية، إن كان يلزم عليه تحليل حرام أو تحريم حلال شرعا، فلا يجوز له قبوله ولا امتثاله، وعليه رَدّ ذلك وكراهته إلا أن يُكْرَه عليه بما يسمى إكراها شرعا، وإن حُكم عليه بما يوافق الشريعة المحمدية قبلَ ضرورة، وليس له أن يمتهن نفسه بتعريضها لأحكامهم وهو يقدر على الهجرة، وإلا كان في ذلك إذلالاً للدين واستخفافاً بالإسلام والمسلمين والله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ [النساء: ١٤١]" اهـ.

ومعنى قوله (حُكِمَ عليه بما يوافق الشريعة المحمدية) أي حكم له بما يستحقه أو حَكَم عليه ما يجب عليه ما إذا لو حَكَم عليه قاضٍ شرعي بالشريعة.

وقوله (إن كان يلزم عليه تحليل حرام... فلا يجوز له قبوله) فلأن حكم الحاكم لا يُحل حراما ولا يُحرم حلالاً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشرٌ، وإنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار" **متفق عليه**.

وحدّ الإكراه يتفاوت عند الناس، وكلٌّ أعرف بحاله... بشرط أن لا تزيد فوق الحاجة (والضرورة تقدر بقدرها) ولذلك -والله أعلم- قال تعالى: "ويحذركم الله نفسه" بعد الرخصة في التقية ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

و(التقيّة) بمعنى الحذر من الكفار – عند الخوف منهم بسبب ظهورهم وغلبتهم – وتكون بإخفاء المعاداة لهم أو بمداراتهم بإظهار القول الليّن والمعاشرة الحسنة لهم. فهذا يجوز إظهاره مع الخوف... ونحن هنا لا ندعو إلى تبرير الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون اليوم، بل أصل دعوتنا: الدعوة إلى تغييره لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن أحكام وشرائع الطواغيت إلى شريعة الله المطهرة العادلة... فهذا من أعظم الواجبات التي يجب على المسلمين خواصهم وعوامهم العمل والإعداد والجهاد من أجله، وهذا هو الحل والعلاج الناجع لجميع مشاكلهم وأمراضهم. ولكن هذا الحل إلى أن يمن الله تعالى على المسلمين بذلك.. ودين الله لم يضع الحلول والأحكام والشرائع للأقوياء فقط، بل رفع الحرج عن الأمة عموماً وراعى ظروف الضعفاء، فلم يكلف نفساً إلا وسعها، وأباح المحظورات في الضرورات، ورخص بقول الكفر أو فعله في الإكراه مادام القلب مطمئنا بالإيمان.

(٧) من دُعي إلى حكم الله وحكم كتابه متى تيسرت إقامته وأمكن حلّه للخصومات وفصله في النزاعات من ظالم أو مظلوم فأبى وامتنع، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)﴾ [النساء: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥].

(٨) أما وظيفة المحاماة في الغالب هي مظنة الكفر لأنها تقوم على التحاكم إلى غير ما أنزل الله وتقوم على احترام القوانين والمطالبة بتنفيذها على الوجه الصحيح عندهم وهو الموافق للدستور.. هذا الكلام في وظيفة المحاماة أما الكلام في المحامي نفسه فيجب النظر في الشروط والموانع عند الحكم عليه؛ لأن المحامين الأصل فيهم أنهم ليسوا من الطائفة الممتنعة المحاربة.. وأيضا في المحامين كما شاهدنا من يتخصص في أعمال معينة ليست من التحاكم الكفري كعمل الكفالات والوكالات ومتابعة حقوق الناس في المؤسسات العامة والشركات وأيضا من المحامين من يتخصص فيما يسمونه بالأحوال الشخصية كالطلاق والزواج والإرث ونحوه، ومن يفعل ذلك له تأويله لكون كثير من هذه القوانين ترجع عندهم إلى المذاهب الإسلامية، وعليه فلا ينبغي التسرع بالحكم على كل المحامين بالتكفير..

(٥)- (من الصور التي هي كفر أكبر) إذا كان الحاكم بشرع الله لكنه في قضية أو قضيتان مثلا حكم بغير ما أنزل الله لشهوة أو رشوة أو قرابة، فهذا أتى بكبيرة من الكبائر فإن كان مستحلا لذلك أو يعتقد أن حكمه أفضل من حكم الله أو مساو له أو اعتقد أنَّ الحكم بما أنزل الله غير واجب، أو أنه مخيَّر فيه، أو استهان بحكم الله أو أنه لا يصلح لهذا الزمان، أو أراد بالحكم بغير ما أنزل الله استرضاءَ الكفار والمنافقين، فهذا كفر أكبر.

(وهذه هي الحالة التي يشترط فبها الاعتقاد).

(القسم الثاني) من أقسام الحكم بغير ما أنزل الله فهو: كفر أصغر: وهو الحاكم الذي يحكم بشريعة الله ظاهرا وباطنا، ولكنه حكم في واقعه أو نازلة بعينها بغير ما انزل الله لهوى في نفسه أو اتباعا لمصلحته مع اعتقاده وجوب الحكم بما انزل الله واستشعاره الإثم فهذا هو المراد — إن صح عن ابن عباس رضي الله عنهما- أنه (كفر دون كفر).

وعندما حاور أبو مجلز- رحمه الله — الإباضية-وهم من فرق الخوارج- وكانوا يلزمونه بتكفير الأمراء؛ لأنهم في معسكر السلطان ولأنهم ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عنه، وذلك ما أخرجه (عبد بن حميد) و(أبو الشيخ) عن أبي مجلز: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قال: نعم، قالوا: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). قال: نعم، قالوا: فهؤلاء يحكمون بما أنزل الله؟ قال: نعم، هو دينهم الذي به يحكمون، والذي به يتكلمون، وإليه يدعون، فإذا تركوا منه شيئاً، علموا أنه جور منهم، إنما هذه اليهود والنصارى والمشركون الذين لا يحكمون بما أنزل الله".

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "قال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" (سورة النساء). فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة".

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: "وأما الذي قيل فيه أنه كفر دون كفر، إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاصٍ، وأنَّ حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها. أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع، فهو كُفرٌ، وإن قالوا: أخطأنا وحكمُ الشرعِ أعدل؛ فهذا كفر ناقل عن الملة".

الرسالة التاسعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(٩)

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا": قال ابن عباس: "كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك" **رواه البخاري**.

اعلم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، الأصل في حقه أنه مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، ما لم يظهر لنا منه ما يناقض إسلامه، فإن ظهر لنا ما يناقض إسلامه وجب علينا قبل الحكم عليه أن نتبيّن ونتأكد من توفر شروط الحكم عليه بما ظهر منه وانتفاء موانعه. وهذه الآية أصل في التثبت والتبيّن وعدم التسرع في أحكام التكفير والقتال- خاصة في الأمور المشتبهة والمحتملة-.

قال في (**عمدة القاري**): "قوله: "فتبينوا" أي الأمر قبل الإقدام عليه، وقرىء: "فتثبتوا" من الثبات وترك الاستعجال، أي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر" اهـ.

قال السعدي رحمه الله: "فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورًا بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوذا من القتل وخوفا على نفسه فإن ذلك يدل على الأمر بالتبيّن والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب" اهـ.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما".

وعن ثابت بن الضحاك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بالكفر فهو كقتله".

ففي هذه الأحاديث الصحيحة من الوعيد والتهديد، ما يجعل أولي الألباب يحتاطون لدينهم أشد الاحتياط في هذا الباب الخطير، إذ أن ظاهرها قاض بأن من كفر مسلماً بما لم يكفره الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه

(٩) [النساء: ٩٤].

وسلم فقد كفر هو بذلك، وهذا وعيد شديد استشكله العلماء، ولذلك ذكروا فيه عدة تأويلات، ومما رجحه بعضهم من ذلك؛ أن من اعتاد الهجوم على مثل هذه المعصية الكبيرة، وتجرأ على تعطيلها، فإن ذلك يؤدي به إلى الكفر، أو يختم له به؛ لأن المعاصي بريد الكفر وكبارها أسرع إليه من صغارها، والمستهتر بالكبائر يخشى عليه أن يجره استهتاره إلى اقتحام أسباب الكفر وتعاطيها، وقد ذكر النووي رحمه الله في شرحه لمسلم استشكال بعض العلماء لظاهر الوعيد في هذه الأحاديث.. وذلك لأن مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة: أن لا يكفر المسلم بالمعاصي، ومن ذلك قوله لأخيه (كافر)، من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام. لذلك ذكر في تأويله خمسة أوجه:

أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر.

الوجه الثاني: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره.

الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، نقله القاضي عياض عن الإمام مالك بن أنس.

الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي كما قالوا بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

الوجه الخامس: معناه قد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفر نفسه، إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام، والله أعلم "أهـ مختصراً من شرح مسلم.

ويقول ابن حجر الهيتمي في (الزواجر عن اقتراف الكبائر): "الكبيرة الثانية والثالثة والخمسون بعد الثلاثمائة: قول إنسان لمسلم: يا كافر أو يا عدو الله، حيث لم يكفره به، بأن لم يرد به تسمية الإسلام كفراً، وإنما أراد مجرد السب" وقد نص ابن القيم في (**اعلام الموقعين**) (**٤/٤٠٥**) على أن: " من الكبائر تكفير من لم يكفره الله ورسوله" أهـ.

***تنبيه إلى من لا يشملهم الوعيد على التكفير**: عرفت مما تقدم أن الوعيد المذكور.. إنما هو في حق من كفر أخاه المسلم من غير دليل صحيح صريح من الشرع، فيدخل في هذا كل من كفره لدافع الهوى، أو الخصومة أو العصبية، أو الحزبية، أو الغل والعداوة والحسد، أو أن يصدر تكفيره له كمسبة.. ومن ذلك تكفير جماهير المسلمين بالعموم أو نحوه مما يندرج تحت الغلو في التكفير. وبديهي أن لا يدخل في ذلك تكفير من نص الله

تعالى على تكفيرهم من اليهود والنصارى ونحوهم من ملل الكفر.. وكذلك الشأن في تكفير الكفار المجمع على تكفيرهم كالطواغيت الذين يعبدون من دون الله ونحوهم من المشرعين، وكذلك المرتدين الممتنعين عن شريعة الله وأنصارهم، فقد أجمع الصحابة بعد المناظرة التي جرت بين أبي بكر وعمر على تكفير الممتنعين عن بعض شرائع الإسلام كالزكاة ونحوها.. فيدخل في ذلك من باب أولى الممتنعين عن شرائع الإسلام كلها، المتولين لأعداء الله من كفار الشرق والغرب ممن كرهوا ما نزّل الله، المحاربين لأولياء الله وأنصار شرعه، المظاهرين للكفار والمرتدين على الموحدين، المشرعين لقوانين الكفر، المحلين، والمبيحين لما حرم الله تعالى من الردة والخمر والربا والخنا وغير ذلك من المحرمات، المحكمين لغير ما أنزل الله.. المتحاكمين لطواغيت الشرق والغرب، المرخصين والحارسين والحامين لكل أنواع الكفر والطعن والاستهزاء بالدين.. ولذلك فلا وعيد في حق من كفر أمثال هؤلاء، وليس ذلك من الغلو في التكفير بحال، بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة، كي يكونوا على بصيرة من دينهم.. وفاعله مأجور لأنه التزم حكماً شرعياً وواجباً دينيا، وهو تكفير من كفره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك كي يتمكن من معرفة آثار هذا الحكم الشرعي في أمور دينه ودنياه.. وما يجب عليه من التكاليف الشرعية المرتبطة بذلك من براءة ومعاداة وجهاد وإعداد لدفع الكفر الجاثم على بلاد المسلمين.. وغير ذلك من الأحكام الشرعية، وكذلك لا يدخل أيضاً تحت الوعيد المتقدم، من كفر من قارف سبباً من أسباب الكفر التي نص الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم على تكفير فاعله بنص صريح.. ثم ظهر له – رغم استفراغه الجهد في النظر في الشروط والموانع – أن مقترف ذلك السبب قد قام دون تكفيره مانع أو تخلف شرط من شروط التكفير، لم يظهر له حين كفره. فإن هذا لا يشمله الوعيد المتقدم والحال كذلك، وليس هذا من الغلو في التكفير، خصوصاً إذا كان الدافع لتكفيره الغيرة على حرمات الشرع، لا الهوى والعصبية ونحوها.. ولذلك كان تبويب البخاري رحمه الله للأحاديث المتقدمة بقوله (باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) ثم قال في الباب الذي يليه (باب من لم يرى إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً) وذكر فيه قول عمر رضي الله عنه لحاطب بن أبي بلتعة: إنه منافق، وحديث إطالة معاذ بن جبل صلاته في قومهم وقوله عن الرجل الذي تجوز وحده في الصلاة: أنه منافق.

وقال ابن القيم رحمه الله في (**زاد المعاد**): "(فصل في الإشارة إلى ما في فتح مكة من الفقه): وفيها أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يُكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم وبدعهم ونحلهم، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه" اهـ.

*اعلم رحمنا الله تعالى وإياك أن لهذا الحكم الشرعي الخطير ... شروطاً وموانع وأسباباً يجب عليك مراعاتها والانتباه إليها ومعرفتها... فقد قصر في فهمها وتعلمها واعتباراها أقوام، فأعملوا سيوف التكفير وأسنته في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ... ولم يميزوا بين برها وفاجرها وكافرها.. مع أنه من المعلوم المقرر عند العلماء المحققين: "أن نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك، لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع" **مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢١٥/١٠)**.

وقال رحمه الله: "أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه.. " اهـ. من **مجموع الفتاوي (١٠١/٣٥)**.

***مجمل شروط وموانع التكفير**: وللحكم بكفر المسلم وخروجه من الدين شروط وموانع نجملها فيما يلي:

(١)–الخطأ: وهو انتفاء القصد، كمن سبق لسانه بقول كفر ولم يقصده، كقول ذلك الرجل: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح" وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الله سبحانه قال عندما نزلت: "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا" قال جل وعلا: "قد فعلتُ"، وقال تعالى: "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم".

وذلك مثل من جلس على حصيرٍ، وكان تحت هذا الحصير كتاب الله عز وجل، فلما نُبه قام من مجلسه، فإن هذا لا يكفر لأنه لم يقصد فعل الكفر وهو الجلوس على كتاب الله، ولا نقول أنه لم يكفر لجهله بحكم من جلس على كتاب الله، فإنه إذا نُبّه ولم يتنبه وأصر على فعله صار بذلك كافراً مرتداً.

ومن ذلك أيضاً أن يتكلم الإنسان بكلام أو ينطق لفظاً لا يعرف معناه فإنه لا يؤاخذ بذلك حتى يعرف فيتكلم به قاصداً معناه بعد قيام الحجة.

ففي (**قواعد الأحكام في مصالح الأنام**) للعز بن عبد السلام (فصل فيمن أطلق لفظاً لا يعرف معناه لم يؤاخذ بمقتضاه) قال رحمه الله: "فإذا نطق الأعجمي بكلمة كفر أو إيمان أو طلاق أو إعتاق أو بيع أو شراء أو صلح أو إبراء لم يؤاخذ بشيء من ذلك؛ لأنه لم يلتزم مقتضاه ولم يقصد إليه، وكذلك إذا نطق العربي بما يدل

على هذه المعاني بلفظ أعجمي لا يعرف معناه، فإنه لا يؤاخذ بشيء من ذلك؛ لأنه لم يُرده، فإن الإرادة لا تتوجه إلا إلى معلوم أو مظنون" اهـ.

ويقابل هذا المانع: شرط القصد والعمد، فإن قال أو فعل قاصداً متعمداً فإنه مؤاخذ.

تنبيه: لا يشترط في الحكم على مَن فَعل المكفِّر قاصداً عالماً أن يقصد بفعله الكفر أو الخروج من الدين، بل هو إن فعل المكفِّر قاصداً عالماً ترتب الحكم عليه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في **الصارم المسلول ص١٧٧-١٧٨**: "وبالجملة فمن قال وفعل ما هو كفر، كفر بذلك، وإن لم يقصد أن يكون كافراً، إذا لا يقصد الكفر أحداً إلا ما شاء الله" أهـ.

وقال ابن حجر في **فتح الباري** (كتاب استتابة المرتدين..) (باب من ترك قتال الخوارج..): "وفيه أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه، ومن غير أن يختار ديناً على الإسلام" أهـ.

(٢)- التأويل: والمراد به هنا وضع الدليل الشرعي في غير موضعه باجتهاد، أو شبهة تنشأ عن عدم فهم دلالة النص، أو فهمه فهما خاطئا ظنه حقا، أو ظن غير الدليل دليلا، كالاستدلال بحديث ضعيف ظنه صحيحا، فيقدم المكلف على فعل الكفر وهو لا يراه كفرا، كمن تأول الديموقراطية بأنها الشورى! فينتفي بذلك (شرط العمد)، ويكون الخطأ في التأويل مانعاً من التكفير، فإذا أقيمت الحجة عليه وبين خطؤه فأصر على فعله كفر حينئذ.

ودليل هذا إجماع الصحابة على اعتبار هذا النوع من التأويل من باب الخطأ الذي غفره الله تعالى بالأدلة المتقدمة - وذلك في حادثة قدامة بن مظعون حيث شرب الخمر مع جماعه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾ [المائدة: ٩٣]، كما روى ذلك **عبد الرزاق في مصنفه** ... وكان قدامة قد استعمله عمر على البحرين، فلما شهد عليه أبو هريرة وغيره وشهدت معهم امرأة قدامة أيضاً أنه شرب الخمر أحضره عمر وعزله، ولما أراد أن يحده استدل بالآية المذكورة فقال عمر: أخطأت التأويل (أخطأت استك الحفرة)...

قال ابن تيمية في (**الصارم**): "حتى أجمع رأي عمر وأهل الشورى أن يستتاب هو وأصحابه، فإن أقروا بالتحريم جلدوا وإن لم يقروا به كفروا" أهـ ص٥٣٠...

ثم إن عمر بين له غلطه وقال له: " أما إنك لو اتقيت لاجتنبت ما حرم عليك، ولم تشرب الخمر.. " فرجع، ولم يكفره بذلك، بل اكتفى بإقامة حد الخمر عليه، ولم يخالفه أحد من الصحابة بذلك.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما من لم تقم عليه الحجة مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك، أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الخمر، كما غلط في ذلك الذين استتابهم عمر وأمثال ذلك، فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم فإن أصروا كفروا حينئذ، ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك كما لم يحكم الصحابة بكفر قدامة بن مظعون وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل" اهـ. **مجموع الفتاوى (٧/٦٠٩-٦١٠)**

تنبيه: وأما ما يدفع به بعض الزنادقة والملاحدة كفرهم الصريح من سفسطة وتمويه وتلاعب بالدين، فهو وإن سماه بعض الجهلة تأويلاً.. إلا أنه مردود وغير مستساغ ولا مقبول، وذلك لصراحة كفرهم ووضوحه.. والعبرة للمعاني والحقائق، لا للأسماء والألفاظ التي يتلاعب بها كثير من أهل الأهواء.. فكم من باطل زخرفه أصحابه ليعارض به الشرع.

ولذلك نقل القاضي عياض في (**الشفا (٢/٢١٧)** قول العلماء: (إدعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل)أهـ.

ونص عليه شيخ الإسلام في (**الصارم المسلول ص (٥٢٧)** فمن عرفت واشتهرت زندقته وتلاعبه بأدلة الشرع، أو كان يتعاطى من أسباب الكفر ما هو صريح وواضح ولا يحتمل التأويل، لم تقبل منه دعوى التأويل فليس ثم اجتهاد وتأويل يسوغ تعاطي الكفر الصريح.. فإنه لا تخلو حجة كافر من الكافرين من تأويلات فاسدة يرقع بها كفره.. وعلى هذا فما كان من التأويل ناشئاً عن محض الرأي والهوى، دون استناد إلى دليل شرعي، ولا هو بمستساغ في لغة العرب، فإنه ليس من الاجتهاد في شيء، بل هو من التأويل الباطل المردود الذي لا يعذر صاحبه، إذ هو تلاعب بالنصوص، وتحريف للدين، عبر عنه بمسمى التأويل.

ولذا قال ابن الوزير: " لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار" أهـ **إيثار الحق على الخلق ص(٤١٥)**.

ومن ذلك قطعاً أصل التوحيد، الذي يتضمن تجريد العبادة لله وحده بكافة أنواع العبادة، فنقض هذا الأصل بدعوى التأويل الذي يسوغ الإشراك بالله تعالى واتخاذ الأنداد معه من أوضح الباطل الذي بعثت الرسل كافة

بإبطاله وإنكاره. وعلى كل الأحوال فإن الخطأ في التأويل يسقط كمانع من موانع التكفير، بإقامة الحجة على المتأول.

(٣)- الجهل: هذه المسائل من أشد المسائل إثارة بين طلبة العلم، فقد كثر فيها النقاش، والأخذ والرد، بل وأحياناً الوصف بالبدعة، والخروج عن السنة، وهي مسألة اختلف فيها أهل العلم في الوقت الحاضر (هل يعذر الذي يقع في الشرك الأكبر جاهلا أم لا؟)

وتنحصر في ثلاثة أقوال لكل قول منها إمام قائل بها مُعترف بفضله وعلمه، وإن خولف في بعض المسائل:

فالرأي الأول: وهو أسهلها، يقول أنه يسمى مسلم، ولا يخرج عن الملة حتى تقام عليه الحجة، ودليلهم قول الله عز وجل (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)، وعموم الإعذار بالجهل واعتباره في الأصل، وهذا رأي المشايخ محمد بن عثيمين وعبد الرحمن البراك والشيخ سليمان العلوان -فك الله أسره- والشيخ عبد العزيز العبد اللطيف والشيخ أبو بصير الطرطوسي.

الرأي الثاني: وهو أن يقال: هو مشرك، ولا يسمى مسلماً، ويعامل في الدنيا معاملة المشركين من ناحية عدم تغسيله ولا تكفينه ولا الصلاة عليه والدعاء له، لكنه لا يقتل ولا يقاتل ما دام حياً حتى تقام عليه الحجة، وإن مات على شركه، ووصف الجهل قائم به فأمره إلى الله، لا نجزم له بشيء، وهذا رأي أئمة الدعوة النجدية، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ حمود العقلاء - رحمه الله - والشيخ علي الخضير، وناصر الفهد، وأحمد الخالدي - فرج الله كربتهم -.

وأدلتهم على ذلك قول الله عز وجل: "لم يكن اللذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة"، وقول الله عز وجل: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه..." الآية فسماهم مشركين قبل أن تأتيهم البينة، وقبل أن يسمعوا كلام الله! وكونهم لا يرتبون على ذلك قتلاً ولا قتالاً ولا تعذيباً فلأن الله عز وجل يقول: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً".

وقولهم هذا مبني على التفريق بين الأسماء والأحكام، وأنه قد يثبت الاسم لكن لا يثبته حكمه المترتب عليه، ويستدلون بقصة سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه مع عبد بن زمعة رضى الله عنه في الصحيحين قال لهما الرسول صلى الله عليه وسلم: "هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سودة لما رأى من شبهه بعتبة فما رآها حتى لقي الله".

قال ابن تيمية "فتبين أن الاسم الواحد يُنفى في حكم ويُثبت في حكم فهو أخ في الميراث وليس أخ في المحرمية" اهـ. الفتاوى ٤٢١/٧.

فكذا في مسألة الشرك، نثبت اسم الشرك لما نراه واقعاً فيه من الشرك الصريح، وننفي الحكم؛ لشبهة الجهل المانعة من العذاب.

الرأي الثالث:- وهو أشدها - يرون أنهم كفار مشركون، في الدنيا والآخرة، مستحقون للعذاب فمن مات كافراً.

وهو رأي لبعض المشايخ، وإن كانوا قلة وهم: الشيخ العلاّمة عبد الله الغنيمان والشيخ المحدث عبد الله السعد..

ومدار أدلتهم تدور على حجية الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم، وعدم تصحيح أحاديث الفترة، ويجيبون عن قوله عز وجل (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أن هذا العذاب خاص بالدنيا، أي أن الله لا يعذب أحداً في الدنيا عذاباً عاماً حتى يبعث لهم رسولاً.

والصواب أن يقال في الميثاق أنه حجة بذاته على استحقاق العذاب، وأن الله عز وجل من حبه للإعذار لعباده جعل عدم إقامة الحجة مانعاً من استحقاق العذاب، وإلا فهو حجة بالغة على بني آدم يستحقون بها وحدها العذاب.

تقوم الحجة وينتفي عذر الجهل على العباد بأمور عدة، وهي:

١- القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٢- السُّنّة: كما في **صحيح مسلم**، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

٣- حجة الميثاق: من حجج الله سبحانه وتعالى على عباده التي يحاجهم بها يوم القيامة، حجة الميثاق الذي أخذه عليهم وهم في أصلاب آبائهم، وأشهدهم على أنفسهم على وحدانية الله تعالى وربوبيته، وقطع به

أعذارهم، وحذرهم من الغفلة في الدنيا عن هذا الميثاق ومن أن لا يفوا به، أو أن يعتذروا يوم القيامة بتقليد الآباء والأسلاف على الضلال ومقارفة الشرك.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في **صحيح مسلم**: " يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك؟ فيقول: شر مضجع، فيقال له: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم. فيقول: كذبت، قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك، فيؤمر به إلى النار".

٤- حجة الفطرة: وكذلك الفطرة، فهي حجة من حجج الله تعالى على عباده؛ حيث ما من مولود إلا ويولد على الملة وفطرة الإسلام والإيمان بالله سبحانه وتعالى كما يفطر على إلهام التنفس والتقام ثديي أمه منذ اللحظات الأولى من حياته، ثم إن طرأ عليه الشرك والكفر فيما بعد فهو بفعل عوامل التضليل المكتسبة من الآباء والزعماء وغيرهم من أئمة الضلال والشرك.

في الحديث الصحيح الذي يرويه مسلم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو يهودانه أو ينصرانه أم يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ". ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله".

٥- حجة الآيات التي أودعها الله تعالى في الكون وفي أنفسنا: من حجج الله تعالى على عباده الدالة على وحدانيته وألوهيته وربوبيته، ما أودعه عز وجل في الكون وفي الآفاق وفي أنفسنا من آيات بينات باهرات، حتى يتبين للعباد أنه سبحانه هو الحق وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

لكن رغم أن الحجة تقوم على العباد بحجة الميثاق، والفطرة التي فطروا عليها، والآيات العظام التي أودعها الله عز وجل في الكون والنفس البشرية الدالة على وحدانيته عز وجل، إلا أن رحمة الله عز وجل

قضت أن لا يعذب أحداً إلا بعد قيام حجة الرسل عليه وبلوغ نذارتهم إليه، قال ابن الجوزي رحمه الله في **(زاد المسير)**: "فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدًى، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم، والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلاّ بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم، وذهب الجمهور إلى أن المنفي هنا هو عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة" اهـ.

وثبت في **الصحيحين** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين ".

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره **(أضواء البيان)**: "والآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة، وما ركز في الفطرة.... ومن ذلك قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فصرح بأن الذي تقوم به الحجة على الناس، وينقطع به عذرهم هو إنذار الرسل، لا نصب الأدلة والخلق على الفطرة.

ومن ذلك أنه تعالى صرح بأن جميع أهل النار قطع عذرهم في الدنيا بإنذار الرسل ولم يكتف في ذلك بنصب الأدلة، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ الملك: من الآية٩ "اهـ.

يقول ابن حزم رحمه الله: "ولا خلاف في أن امرءاً لو أسلم – ولم يعلم شرائع الإسلام- فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافراً بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة فتمادى حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر" اهـ. **المحلى(١٣/١٥١)**.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له" **متفق عليه**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: "فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالى، وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك، ضالاً في هذا الظن مخطئاً، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكاً في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره...." اهـ.

والجهل يعتبر مانعاً من موانع التكفير، ولكن ليس على الإطلاق، بل الجهل الذي عدّه العلماء مانعاً من موانع التكفير: هو الجهل الذي يخرج عن قدرة المكلف بحيث يكون حديث عهدٍ بالإسلام ولم تبلغه الشرائع أو يكون بمكان لا يستطيع فيه رفع الجهل عن نفسه مع حرصه ونصحه.

قال القرافي رحمه الله: "إن كل جهل يمكن المكلف دفعه، لا يكون حجة للجاهل" انظر **الفروق (٢٦٤/٤) وأيضاً (١٤٩/٢-١٥١)**.

ويقول ابن اللحام رحمه الله: "جاهل الحكم إنما يعذر إذا لم يقصر أو يفرط في تعلم الحكم، أما إذا قصر أو فرط فلا يعذر جزماً" أهـ. **القواعد والفوائد الأصولية ص (٥٨)**.

واعلم أن مانع الجهل فيه تفصيل يطول، وقد صنف فيه أهل عصرنا المصنفات، ما بين إفراط وتفريط، وقد نفاه أقوام بالكلية، فأخطأوا، وكفّروا من لم يكفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.. ووسّعه آخرون فتعدوا حدود الله فيه، حتى عذروا المرتدين المعاندين، والكفرة المعرضين عن دين الله، أولئك الذين جهلوا دين الله بكسبهم وإعراضهم عنه، واستحبابهم الحياة الدنيا وزخرفها.. فتراهم أعلم الناس في كل ما دق وجل من أمورها وقشورها، بينما لا يرفعون رأساً بتعلم أهم وأول ما افترض الله على ابن آدم تعلمه، هذا مع توفر مظنة العلم، والكتاب والسنة بين أيديهم -كما قلنا- فهم ممن قال الله تعالى عنهم: "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون". فالجاهل المفرط لا يعذر بوجوده في دار الإسلام (مظنة العلم)، وقدرته على التعلم والفهم، وإنما العذر لمن لا يقدر على التعلم أو الفهم، أو لم تصله الحجة الصحيحة - أي أن الجهل عذر مؤقت، ومقيد بعدم توفر بعض الشروط، فإذا وجدت هذه الشروط أو أمكن وجودها تقديراً، فإن الجهل لا يبقى عذراً.

(٤)– **الإكراه:** يعتبر الإكراه مانعاً من موانع التكفير لكون صاحبه مجبر على القول أو الفعل فاقد للاختيار، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقد ذكر العلماء شروطاً لصحة تحقق مانع الإكراه منها:

– أن يكون المكرِه (بكسر الراء) قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمكرَه عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار.

– أن يغلب على ظن المكرَه، انه إذا امتنع أوقع به ما يهدد به.

– أن لا يظهر على المكرَه ما يدل على تماديه، بأن يعمل أو يتكلم زيادة على ما يمكن أن يزول به عنه البلاء.

– واشترطوا فيما يهدد به في الإكراه على كلمة الكفر، أن يكون مما لا طاقة للمرء به، ومثلوا بالإيلامات الشديدة وتقطيع الأعضاء، والتحريق بالنار والقتل وأمثال ذلك، وذلك لأن الذي نزلت بسببه آيات إعذار المكره وهو عمار، لم يقل ما قال إلا بعد أن قتل والديه وكسرت ضلوعه، وعذب في الله عذاباً شديداً.

فهذه هي موانع التكفير التي ذكرها العلماء رحمهم الله وعكسها هي الشروط.

الرسالة العاشرة: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾[10]

الأصل في دعوة الأنبياء والمرسلين أن تكون بالحسنى؛ امتثالا لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل: ١٢٥].

فقد كان أول دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه باللين والحسنى، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

فذكر تعالى ما كان بين إبراهيم عليه السلام وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه، فكيف تغنى عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر؟! ثم قال له منبها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سنا من أبيه: " يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا " أي مستقيما واضحا سهلا حنيفا، يفضى بك إلى الخير في دنياك وأخراك.

فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة إليه، لم يقبلها منه ولا أخذها عنه، بل تهدده وتوعده قال: "أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم!؟ لئن لم تنته لأرجمنك " قيل بالمقال وقيل بالفعال. "واهجرني مليا " أي واقطعني وأطل هجراني. فعندها قال له إبراهيم: " سلام عليك" أي لا يصلك منى مكروه ولا ينالك منى أذى، بل أنت سالم من ناحيتى. وزاده خيرا فقال: "سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا" قال ابن عباس وغيره: أي لطيفا، يعنى في أن هداني لعبادته والإخلاص له.

---

(١٠) [التوبة:١١٤]

ولهذا قال: "وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى، عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ". وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في أدعيته... فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ومثل هذا: مَوْقِفُ زَوْجَةِ فِرْعَوْنَ عليه السلام مِنْ فِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" التحريم، فتبرأت الزوجة المسلمة من زوجها الكافر، ولنا في هؤلاء أسوة حسنة!

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في (أضواء البيان): "لقد كان صلى الله عليه وسلم مع قومه في مكة ملاطفا حليما، فكيف جابه(أي النبي صلى الله عليه وسلم- عمه بهذا الدعاء: "تبت يدا أبي لهب"؟ والجواب: أنه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم، فلما يئس من ذلك، كان هذا الدعاء في محله، كما وقع من إبراهيم عليه السلام، كان يلاطف أباه: يا أبت لا تعبد الشيطان" "يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا"، فلما يئس منه تبرأ منه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾ [التوبة: ١١٤]".

***وفي دين محمد صلى الله عليه وسلم(الإسلام): لا يشترط بالحكم على الشخص بالردة والكفر أن ينتقل من الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية فقط! بل إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام والإيمان-وقد أقيمت عليه الحجة- فقد كفر بالله ورسوله وحل ماله ودمه وإن كان يقول: (لا إله إلا الله) ويصلي ويصوم ويزعم أنه مسلم!**

والحجة في ذلك: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: "ما رأيت مثل قُرائنا هؤلاء أرغبَ بطونا ولا أكذبَ ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المسجد: كذبتَ! ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنكُبُه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم"".

وفي القصة من الفوائد: أن أولئك النفر من المنافقين كانوا مؤمنين قبل ذلك، كما قال الله عز وجل: "قد كفرتم بعد إيمانكم".

وفيها: أن من ارتكب الكفر حبط عمله وخرج من الملة ولو كان رجلاً صالحًا، ولو كان له من الأعمال العظيمة ما ليس لآحاد المسلمين، فهؤلاء ذكرهم الله عز وجل بالإيمان، وقد خرجوا في غزوة العسرة التي كانت من أعظم امتحان الله عز وجل لعباده! فمن الغلط الشائع عند كثير من الناس، ظنُّهم أنَّ من قال (لا إله إلا الله) لم يُخرجه من الإسلام شيءٍ، ولو ارتكب النواقض وتعوَّد المكفِّرات، ثمَّ يبنون على هذا حرمة القتل، وعصمة الدم والمال، فلا يكفّرون من يسبُّ الله ورسوله، أو يتولَّى أعداء الله، أو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يدعو المخلوقين من دون الله، وفي هذا مناقضةٌ عظيمةٌ لأصل التوحيد، ومعارضةٌ لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة.

وحسبك أن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ [الزمر: ٦٥] فإذا كان النبي الكريم صلوات الله عليه داخلاً في هذا العموم، غير مستثنى من هذا الحكم، مع اليقين بعصمته منه وبعده عنه، فكيف بمن كان من أمَّته؟!

*فإذا تبين لنا أن هذا الشخص عدو لله ورسوله – بأن أقيمت عليه الحجة وكان معاندا أو محاربا أو محادا لله ورسوله- كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين –وإن أخطأ وغلط- حتى تقوم عليه الحجة، وتبين له المحجّة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة" أهـ. **مجموع الفتاوى (١٢/٢٥٠)**. فيترتب على ذلك عدة أمور:

١- وصفه بالكفر والشرك: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١)﴾ [الكافرون: ١]..

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤].

٢- **براءة الله تعالى منه ورسولُهُ صلّى الله عليه وسلّم،** قال عز وجل: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

٣- قطع المودة والموالاة، والبراءة منه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]

٤- أنَّه حلالُ الدم والمال، قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرتُ أن أقاتلَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها "**رواه البخاري ومسلم**.

ولقوله صلّى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه" **رواه البخاري**.

ولم يتطرق كثير من الفقهاء إلى معاملة المرتدين في جوانب كثيرة، مثل الاستعانة بهم أو مصاحبتهم، أو صلتهم، أو التعامل معهم، لأنه أساسًا كان يجب أن لا يعيش بين المسلمين مرتد، فإما الإسلام، وإما الموت! وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "أمرتُ أن أقاتلَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها".

من الفوائد: بيان هوان الخلق على الله في الدنيا كما هو هوانهم عليه في الآخرة إن لم يسلموا له، فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوا رسله وينقادوا لأمره، فإن لم يحصل هذا المقصد لم يكن لوجودهم أهمية ترعى أو تصان، بل هم هباء لا قيمة له، فما أهون الخلق على الله سبحانه من غير إسلام له، إذ لا قيمة لهم ولا لأبدانهم ولا لأموالهم ولا لملكهم ولا لسلطانهم، بل إن الله سبحانه وتعالى يسلط عليهم أهل الإيمان ليذيقوهم عذاب الدنيا قبل أن يصيروا إلى عذاب الله في الآخرة، والإسلام الذي حرم قتل الحيوان إلا لمنفعة الأكل أو لدفع ضرره هو الذي أهان الكافر وأمر بقتله لرفضه التوحيد فكان شأنه أقل من الدابة كما قال تعالى: (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ) فسبحانه ما أحكمه وأعدله في خلقه.

٥- أنه إذا مات ولم يتب من الشرك فإنه لن يغفر له أبدا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٦-٧- أن الله أخبر أنه حرَّم عليه الجنة وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة: ٧٢].

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦)﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

٨- أنه يحبط جميعَ أعماله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ [الزمر: ٦٥].

وبهذا تفهم من الذي يستحقون أن يخرجوا من النار إذا دخلها: (وهم عصاة الموحدين الذين لم يموتوا على الشرك الأكبر) فلم تحبط أعمالهم كلها، فبقي لهم ذرة من خير، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يدخل أهل الجنة الجنةَ وأهْلُ النَّارِ النارَ، ثم يقول الله تعالى: أَخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياَ- أو الحياة- فينبُتُون كما تنبت الحبةُ في جانب السيَّل، ألم تر أنها تخرج صفراءَ مُلتوية؟" **متفق عليه**.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد".

٩- أنه يحشر مع أهل الكفر والشرك؛ لأنه منهم، قال الله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

والأزواج جمع (زوج) وهو (الصنف) أي احشروا الذين ظلموا ومن كان من أصنافهم من أهل الكفر والظلم.

١٠- لا تجوز مبادئته بالسلام: قال صلى الله عليه وسلم: " لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه " **رواه مسلم**.

١١- وتؤكل ذبيحة أهل الكتاب، أما ذَبِيحَةُ الْمُرْتَدِّ فلَا يَجُوزُ أَكْلُهَا، لِأَنَّهُ لَا مِلَّةَ لَهُ! ولأن من شروط الذكاة: أن يكون المذكي مسلماً أو كتابياً (يهودياً أو نصرانياً)، فأما المرتد والوثني والمجوسي ونحوهم فلا يحل ما ذكوه.

١٢- وَصِيَّةُ الْمُرْتَدِّ عند موته بَاطِلَةٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ الْقُرَبِ وَهِيَ تَبْطُلُ بِالرِّدَّةِ.

١٣- سقوط ولايته: فلا يجوز أن يولى شيئاً يشترط في الولاية عليه الإسلام، وعلى هذا فلا يولى على القاصرين من أولاده وغيرهم، ولا يزوج أحداً من مولياته من بناته وغيرهن؛ لسلب ولايته لهم بالردة، قال ابن قدامة رحمه الله: "أما الكافر فلا ولاية له على مسلمة بحال، بإجماع أهل العلم، منهم مالك والشافعي وأبو عبيد وأصحاب الرأي، وقال ابن المنذر: "أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم"" أهـ.

١٤- سقوط إرثه من أقاربه: لأن الكافر لا يرث المسلم، والمسلم لا يرث الكافر، لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم" **أخرجه البخاري ومسلم.**

فلا خلاف بين العلماء في أن المرتد لا يرث أحدا من أقاربه المسلمين لانقطاع الصلة بالردة، واختلفوا في مال المرتد إذا قتل، أو مات على الردة على ثلاثة أقوال:

أ- أن جميع ماله يكون فيئا لبيت المال، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد.

ب-أنه يكون ماله لورثته من المسلمين، سواء اكتسبه في إسلامه أو ردته، وهذا قول أبي يوسف ومحمد. وهو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

ج - أن ما اكتسبه في حال إسلامه لورثته من المسلمين، وما اكتسبه في حال ردته لبيت المال، وهذا قول أبي حنيفة.

١٥- تحريم دخوله مكة وحرمها: لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

١٦- تحريم نكاحه المرأة المسلمة، وإن تزوج لم يصح تزوجه: لأنه كافر، والكافر لا تحل له المرأة المسلمة بالنص والإجماع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وكذلك المرتدة يحرم نكاحها، فالمرتد إذا تزوج امرأة مسلمة، فإن زواجه غير صحيح، ولا تحل له المرأة بهذا العقد، وأنه إذا تاب إلى الله تعالى ورجع إلى الإسلام وجب عليه تجديد العقد، وكذلك المرتدة.

لكن لو تزوج وهو مسلم ثم طرأت عليه الردة فإنه ينظر فإن تاب لم يجب عليه تجديد العقد وإن أصر فرّق بينهما، قال الإمام الشافعي رحمه الله: " إن كان المسلم الذي ارتد إلى الكفر لم يدخل بالمرأة بطل العقد، وإن كان قد دخل بها فإن انقطاع النكاح متوقف على ثلاث حيضات من تاريخ الردة فإن رجع إلى الإسلام قبل انقضاء الثلاث حيضات فالعقد باقٍ وإن لم يرجع بانت منه المرأة" اهـ.

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "ألا فليعلم كل مسلم وكل مسلمة: أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه باطل بطلاناً أصلياً، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك.... ألا فليعلم النساء المسلمات، أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذه حاله، وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه هذه الردة فإن حكمها وحكمه في الردة سواء" أهـ. (**كلمة حق ص ١٥٨-١٥٩**).

وهذا حق لا مريّة فيه وتأمل كيف اشترط علمها ومعرفتها بردّته والرضا بذلك، وأما إن كانت مستضعفة أكرهها أهلها على الزواج من المرتدين أو المشركين ممن يرونهم ويحسبونهم من المسلمين.. فإذا كانت المسلمة جاهلة فلها علينا واجب النصح والبيان، أو مسلمة صالحة مستضعفة فلها علينا واجب النصرة والموالاة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾ [التحريم: ١١].

فهذه امرأة صالحة، بل من خير نساء العالمين، كانت تحت أخبث أهل الأرض وأكفرهم، وأشدهم حرباً للدين في زمانه. ومعلوم أن عذر الإكراه لا يشدد في شروطه بحق المرأة المستضعفة كما هو في حق الرجال الأقوياء.. ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)).. ((لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها)).

١٧- الكافرُ لا تصحُّ الصلاةُ خلفَه مطلقاً-انظر رسالة (حكم الصلاة خلف أنصار الطاغوت).

١٨-١٩-٢٠-٢١-إذا مات ولم يتب فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يقبر في مقابر المسلمين، وإنما يُدفَنُ في مقابر الكفّار، أو يُوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين. **٢٢**

-٢٣- تحريم الصلاة عليه بعد موته، وتحريم الدعاء له بالمغفرة والرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤)﴾ [التوبة: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

ودعاء الإنسان بالمغفرة والرحمة لمن مات على الكفر بأي سبب كان كفره اعتداء في الدعاء ونوع من الاستهزاء بالله وخروج عن سبيل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الأمر الخطير والمتأثرة به.. **فالأمر جد خطير..."إنه لقول فصل وما هو بالهزل"**

ولم يأت في القرآن الكريم وصف (العدو المبين) إلا للشيطان وللكافر! قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣)﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١)﴾ [النساء: ١٠١].

والكافر ينقسم إلى قسمين:

١-(الكافر الأصلي) كاليهود والنصارى والمشركون والبوذيون والملحدين.

٢-(المرتد) وهو الذي كفر بعد إسلامه بقول أو فعل أو اعتقاد، وهو شر وأخبث من الكافر الأصلي! لأن هذا رجع عن الحق بعد معرفته بخلاف الكافر الأصلى، ولهذا يجب قتل المرتد بكل حال إذا لم يتب بخلاف الكافر الأصلى فإنه يبقى على دينه ولا نقتله ما دام بيننا وبينه عهد!

وقد وصف الله الكفار بأبشع أوصاف الذم:

١-قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾ [البقرة: ٩٨].

٢- ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾ [البقرة: ٨٩].

٣- ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ [آل عمران: ٣٢].

٤- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)﴾ [الأعراف: ١٠١].

٥- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)﴾ [التوبة: ٢].

٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)﴾ [النساء: ٥٦].

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)﴾ [البينة: ٦].

٨- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)﴾ [الأنفال: ٥٥].

قال ابن كثير رحمه الله: "هم شر الدواب عند الله فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها؛ لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع فيهم، فإن ذهاب هؤلاء ومحقهم هو المتعين؛ لئلا يسري داؤهم لغيرهم".

٩- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)﴾ [المائدة: ١٠٠].

قال السدي: "الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون".

١٠- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)﴾ [الأنعام: ٥٠].

قال قتادة: " "الأعمى" الكافر الذي عمي عن حق الله وأمره ونعمه عليه "والبصير" العبد المؤمن الذي أبصر بصرا نافعا فوحد الله وحده وعمل بطاعة ربه وانتفع بما آتاه الله".

١١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

قال السعدي رحمه الله: "" نَجَسٌ " أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا؟ وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله ونصر للباطل ورد للحق وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح".

١٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)﴾ [غافر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)﴾ [فاطر: ٣٩].

أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، والمقت: هو أشد البغض.

١٣- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: في أسارى بدر "لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له" **رواه البخاري**.

١٤- في صلح الحديبية: "…. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم"يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم" قال فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل فجعل يمشي إلى جنبه وهو يقول: اصبر أبا جندل، (فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب) قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية.." رواه أحمد.

قال ابن تيمية رحمه الله "وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي" وقال أيضا: "وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة، منها أن المرتد يقتل بكل حال ولا يُضرب عليه جزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي. ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد. ومنها أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي إلى غير ذلك من الأحكام" اهـ.

وقال رحمه الله أيضا: في حديثه عن التتار: "وطائفة كانت مسلمة فارتدت عن الإسلام وانقلبت على عقبيها من العرب والفرس والروم وغيرهم، وهؤلاء أعظم جُرماً عند الله وعند رسوله والمؤمنين من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة: فإنَّ هؤلاء يجب قتلهم حتماً ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه، لا يجوز أن يُعقد لهم ذمة ولا هدنة ولا أمان ولا يطلق أسيرهم ولا يفادى بمال ولا رجال ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم ولا يسترقون مع بقائهم على الردة بالاتفاق، ويقتل من قاتل منهم ومن لم يقاتل كالشيخ الهرم والأعمى والزمن باتفاق العلماء وكذا نساؤهم عند الجمهور.

والكافر الأصلي يجوز أن يعقد له أمان وهدنة ويجوز المن عليه والمفاداة به إذا كان أسيراً عند الجمهور ويجوز إذا كان كتابياً أن يُعقد له ذمة ويؤكل طعامهم وتنكح نساؤهم ولا تقتل نساؤهم إلا أن يقاتلن بقول أو عمل باتفاق العلماء، وكذلك لا يقتل منهم إلا من كان من أهل القتال عند جمهور العلماء كما دلَّت عليه السنة، فالكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره" اهـ. **المجموع (٢٨/٤١٣-٤١٥)**.

فما هذا إلا غيض من فيض، قصدنا به التمثيل والتنبيه.. والأدلة على ذلك كله معلومة معروفة في مظانها من كتب الفقه وغيرها.. فمن لم يميز بين الكافر والمسلم التبس عليه أمره ودينه في ذلك كله.. ولك أن تتأمل ما يترتب من مفاسد ومحاذير ومنكرات بسبب خلط أحكام المسلمين بأحكام الكفار فيما تقدم من الأمثلة..

وقد قال تبارك وتعالى في شيئ من ذلك: "إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير".. وليس بخاف على أحد ما نراه اليوم من اختلاط الحابل بالنابل، واختلال الموازين عند كثير من المنتسبين للإسلام في هذه المسائل والأحكام الشرعية وغيرها.. وذلك بسبب تقصيرهم بل إهمال أكثرهم.. النظر في هذا الحكم الخطير وعدم تمييزهم أو فرقانهم بين المسلمين والكفار.. ويظهر ذلك جلياً في تخبط عوامهم وخواصهم في كثير من الأحكام والمعاملات والعبادات والموالاة والمعاداة، وغير ذلك من أمور. مع أن الله تبارك وتعالى قد ميز وفرق في أحكام الدنيا والآخرة بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وأكد هذا الفرقان في غير موضع في كتابه: فقال تبارك وتعالى: " لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة " وقال تبارك وتعالى منكراً على من سوى بين الطائفتين وخلط بين أحكامهم: " أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون" وقال سبحانه وتعالى: "أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً لا يستوون" وقال عز وجل: " قل لا يستوي الخبيث ولا الطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث " وقال عز من قائل: "ليميز الله الخبيث من الطيب" فالله تبارك وتعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب، ويريد سبحانه فرقاناً شرعياً بين أوليائه وأعدائه في أحكام الدنيا والآخرة.. وعلى هذا فالمساواة بين الفريقين هى معاندة لشرع الله وهذا ما تتولى كبره الدساتير الوضعية الجاهلية التي تنص على أن المواطنين أمام القانون سواء، وأنه لا يُفرَّق بينهم في الحقوق والواجبات بسبب العقيدة ونحو ذلك.

وخلاصة هذه المسألة: أن ثمرة هذا الموضوع ـالكلام في الإيمان والكفر ـ هي تمييز المؤمن من الكافر لمعاملة كل منهما بما يستحقه في شرع الله تعالى، وهذا واجب على كل مسلم. ثم إن من مصلحة الكافر أو المرتد أن يعلم أنه كافر فقد يبادر بالتوبة أو بتجديد إسلامه فيكون هذا خيراً له في الدنيا والآخرة، أما أن نكتم عنه حكمه ولا نخبره بكفره أو ردته بحجة أن الخوض في هذه المسائل غير مأمون العواقب فهذا فضلاً عما فيه من كتمان للحق وهدم لأركان الدين فهو ظلم لهذا الكافر وخداع له بحرمانه من فرصة التوبة إذا عَلِمَ بكفره، فكثير من الكفار هم من ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [الكهف: ١٠٤].

ونحن لا نطالب العامي بأن يفتي في أحكام الإيمان والكفر، بل لا يجوز له ذلك، وإنما يجب أن يكون هذا الموضوع حاضراً في ذهنه في تعاملاته المختلفة ليستفتي فيه عند الحاجة، من باب وجوب العلم قبل القول والعمل، أما طالب العلم فينبغي أن يكون اهتمامه بهذا الموضوع فوق ذلك، بأن يدرسه دراسة وافية ليتأهل للإفتاء فيه.